مجلة شهرية

Issue No: 123 :عدد

November 2017 شهر تشرين ثانٍ

نـــــور يسوع المسيح المســـيـــح

ΦΩΣ الغالب XPIΣTOY

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

القديس جوارجيوس المُظَفَّر

اليد اليمنى للقديس جوارجيوس

دير كسينوفُندوس المقدّس في جبل آثوس

الذي يحتفظ بيد القديس جوارجيوس اليمنى

الاعتراف الحسن

بقلم القديس أثناسيوس الكبير

قد يقول أحدٌ: أين زمان الاضطهاد الآن لكي أصير شهيدًا؟

فأقول له: إن أردت أن تكون شهيدًا فمُت عن الخطيئة: «أمت أعضاءَك التي على الأرض» (كو ٣:٥) فتصير شهيدًا بنيتك.

لقد كان الشهداء يقاتلون ملوكًا وولاة جسديين، أمَّا أنت فتقاتل الشيطان ملك الخطيئة، والشياطين هم ولاة الظلمة. كان أولئك ينصبون للشهداء مذابح لتقديم الضحايا لعبادة الأصنام ونجاسة الزنى، والآن إن أدركت ببصيرتك الروحانية فها هي أمامك مائدة للذبائح، ومذبحٌ وَصَنَمٌ روحي مرذول في النفس، وقد تدفعك كل هذه إلى السجود أمامها.

فالمائدة هي شَرَهُ البطن،

والمذبح هو شَهْوَةُ الملذات،

والصنم هو شَهْوَةُ الزنى المرذولة.

فالذي يُستعبد للترف، ويسلم نفسه للملذات فقد جحد يسوع وسجد للصنم، لأن له في ذاته صنم آلِهَةِ الجمال عند اليونان «**أفروديت**»، أي مسرَّة الشهوة الجسدية المُخْجِلة.

ومن كان **مغلوبًا من الغضب والغيظ** ولم يقطع من نفسه جنون هذا الوجع فقد أنكر يسوع، وله في نفسه إله الحرب «**أريز**» صنمًا، لأنه صار خاضعًا للغضب الذي هو صنم الجنون.

والذي غلبه حب الفضة والرفاهية وأغلق أحشاءه عن إخوته، ولا يرحم قريبه فقد كفر بيسوع وعبَد الأصنام، لأنه أقام في نفسه صنم الإله «**هرمس**»، وقد عبد الخليقة بدلًا من الخالق، «لأن محبة المال أصل لكل الشرور» (١تي٦:١٠).

إذن فالذي يضبط نفسه، ويتحفَّظ من هذه الأوجاع الطائشة، ويطأ هذه الأصنام بقدميه، ويجحد هذه الأباطيل، يكون هو الشهيد الذي «يعترف الاعتراف الحسن» (١تي٦).

ٱنْظُرْ إِلَى لَاعِبِ ٱلشَّطْرَنْجِ يَجْمَعُهَا

مُغَالِبًا ثُمَّ بَعْدَ ٱلْجَمْعِ يَرْمِيهَا

كَٱلْمَرْءِ يَكْدَحُ لِلدُّنْيَا وَيَجْمَعُهَا

حَتَّى إِذَا مَاتَ خَلَّاهَا وَمَا فِيهَا

مَا ٱلْخَيْرُ صَوْمٌ يَذُوبُ ٱلصَّائِمُونَ لَهُ

وَلَا صَلَاةٌ وَلَا صُوفٌ عَلَى ٱلْجَسَدِ

إِنَّمَا هُوَ تَرْكُ ٱلشَّرِّ مُطَّرِحًا

وَنَفْضُكَ ٱلصَّدْرَ مِنْ غِلٍّ وَمِنْ حَسَدِ

مَا دَامَتِ ٱلْوَحْشُ وَالْأَنْعَامُ خَائِفَةً

فَرَسًا فَمَا صَحَّ أَمْرُ ٱلنُّسْكِ لِلْأَسَدِ

ابو العلاء المعرّي

محتويات العدد

2	الاعتراف الحَسَن
3	كلمة غبطة البطريك ك.ك. ثيوفيلوس الثالث
4	النسك في حياة الرهبنة القديس باسيليوس الكبير
5	الزمن – راهبات دير مار يعقوب
6	هل القداسة ممكنة في حياتنا
8	المسيح والاسقف والكنيسة
11	معجزة – للاب باييسيوس.
12	الخطيئة الجِدِّيّة ـ رومانيديس.
14	عملية الشفاء القديس كيرللس الاسكندري
16	التنجيم والأبراج – باسيليوس
18	تريدين ان تكوني جميلة للقديس يوحنا الذهبي الفم
19	الراهب الصادق
20	جزنا بالنار والماء للقديس باييسوس
21	العهد القديم ١٠٦
22	القديس نكتاريوس
23	الأرثوذكسية قانون إيمان
24	العظات الثماني عشرة

توزّعُ هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩

تلفاكس ٠٤-٦٥١٧٥٩١

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة، حساب رقم:

12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

المحرّر المسؤول: هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة تكريس هيكل القديس جوارجيوس المظفّر في مدينة اللد

يهتفُ مُرنم الكنيسةِ قائلًا: «لنمتدحنَّ امتداحًا روحيًّا أيها الأخوة أَلماسة الجلادة العقلية جاورجيوس الشهيد السعيد الذكر. الذي أُصْلِيَ في النار من أجل المسيح فصلَّبتهُ الأهوال مثل النحاس. وشحذت عزيمتهُ العذابات والعقوبات المتنوّعة مذبيةً جسدهُ الفـاني بالطبع فقط. فإنَّ المحبة تغلَّبت على الطبيعة. فأقنعت العاشق بأن يصل بواسطة الموت إلى معشوقهِ المسيح الإله مُخَلِّصِ نفوسنا.»

أيها الإخوة المحبوبون في المسيح،

أيها المسيحيون والزوار الأتقياء،

تُكَرِّمُ وَتُوَقِّرُ اليوم كنيستنا المقدسة أَلماسة الجلادة العقلية جاورجيوس السعيد الذكر شهيد محبة المسيح، فأما مدينتكم والتي كانت تـدعى يـومًا مـا فـي العصـر البيزنـطي جورجيوبوليس أي مدينة جورج والتي تفتخر بفخر المسيح اليوم في ذكرى عيد نقل رفات القديس جاورجيوس إلى هذه الكنيسة التي تحمل اسمه، حيثُ تجمعنا لكي نقدم المجد والشكر والتسبيح للمسيح إلهنا الحقيقي، ولقديسهِ العظيم في الشهداء جاورجيوس.

وُلِد القديس جاورجيوس (ومعنى اسمه الحارث أو الفلاح) في كبادوكيا في آسيا الصغرى. وبعد استشهاد والده، أخذت الوالدة ابنها جاورجيوس وذهبت بهِ إلى الأرض المقدسة، فلسطين، إلى مدينة اللد موطنها الأصلي. ثم انتقل إلى روما ومَثُلَ أمام **الإمبراطور الروماني الوثني ديوكلتيانوس**، وكرز وجاهر بإيمانهِ المسيحيّ علنًا ودافعَ عنهُ بحماسة، لهذا عانى قديسنا أبشع أنواع العذابات والتي آلت لموتهِ الاستشهادي.

يقول المرنم:«إنَّ المحبة تغلَّبت على الطبيعة. فأقنعت العاشق بأن يصل بواسطة الموت إلى معشوقهِ المسيح الإله مخلّص نفوسنا».

إنّ شوق القديس جاورجيوس إلى المسيح أيها الأحبة، ليس شوقًا أو توقًا عاطفيًا انفعاليًا ولم يكن خيالَ أحلامٍ ونزعةَ منامٍ. بل هي الرغبة الشديدة العارمة وحنينٌ للحياة الأبدية، والاتحاد بالمسيح ابن الله ،كانت تدفعها الاستنارة الإلهية وتديرها قوة إيمان القديس

بالمسيح الذي هو نور العالم الحقيقي إذ يقول الرب «الَّذِي يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَنْ يَرَى حَيَاةً بَلْ يَمْكُثُ عَلَيْهِ غَضَبُ اللهِ» (يو ٣: ٣٦). وأيضا في موضع آخر يقول الرب: «إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي، فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا. لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُعْطِي الإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ؟ » (متى ١٦:٢٤-٢٦)

وبكلامٍ آخر أيها الأحبة إن شوق القديس جاورجيوس ولهفتهِ للمسيح، هو شوقٌ للحصول على الحرية في المسيح، تلك الحرية التي تُعْتِقُ وَتُخَلِّصُ الإنسان من عبودية المادة والملذات الأرضية، هي حريةٌ تبرهِنُ وَتُوْضِحُ عظمة وأهمية نفْس الإنسان، وهذا لأن نَفس الإنسان في تضادٍ ومعارضة مع جَسده. ولا تخضعُ النفس لنواميس وقوانين الطبيعة من حيثُ الموتُ والفسادُ لهذا يقول الرب: «لاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ وَلكِنَّ النَّفْسَ لاَ يَقْدِرُونَ أَنْ يَقْتُلُوهَا، بَلْ خَافُوا بِالْحَرِيِّ مِنَ الَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يُهْلِكَ النَّفْسَ وَالْجَسَدَ كِلَيْهِمَا فِي جَهَنَّمَ». (متى ١٠: ٢٨)

حقًا إنَّ جاورجيوس المُلهم من الله قد ظهر واستبان صديقًا للمسيح ليس فقط من جهةِ كرازتهِ وتبشيرهِ بالإنجيل لزملائهِ وأصحابهِ من الوثنيين بل أيضا خلال العذابات الرهيبة التي كابدها كما يقول مرنم الكنيسة: «لقد اسلمت جسدكَ للعقوبات. وأما نفسك فقد حفظتها سالمةً من الفساد يا مغبوط الله جاورجيوس. فإنك حصلت من العلاءِ على معونة الله حارسًا يحاذر عليك في الحروب.»

ويوصي ربنا يسوع المسيح أحبته قائلًا لهم: «بأنكم ستواجهون الأخطار والاضطهادات، فلا تقلقوا أو تجزعوا ولا تكونوا مرائين لكي تنجوا منها، لذلك لا ينبغي أن تخافوا من أولئك الذين يقتلون الجسد. ثم بعد ذلك لا يستطيعون أن يفعلوا أكثر من ذلك. وأنا أقول لكم ممن ينبغي أن تخافوا؛ خافوا من ذلك الذي بعد أن تُقتلوا وتُحرموا من هذه الحياة الوقتية الفانية لهُ سلطانٌ أن يلقيكم في النار الأبدية، من هذا عليكم أن تخافوا. فلا تقيموا للناس الذين يقتلونكم أي اعتبار أو أهمية ولا تظنوا البتة أن الله الذي مُتُّمُ من أجلهِ يتركك

«وَلكِنْ أَقُولُ لَكُمْ يَا أَحِبَّائِي: لاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ، وَبَعْدَ ذلِكَ لَيْسَ لَهُمْ مَا يَفْعَلُونَ أَكْثَرَ. بَلْ أُرِيكُمْ مِمَّنْ تَخَافُونَ: خَافُوا مِنَ الَّذِي بَعْدَمَا يَقْتُلُ، لَهُ سُلْطَانٌ أَنْ يُلْقِيَ فِي جَهَنَّمَ. نَعَمْ، أَقُولُ لَكُمْ: مِنْ هذَا خَافُوا»! (لوقا ١٢: ٤-٥)

ولهذا السبب عينه فإن شخصية القديس جاورجيوس تُعرض وتستبان لنا اليوم في هذه الذكرى المقدسة، كنموذجٍ ومثالٍ يُحتذى ويقتدى بهِ من جهةٍ، وكنبعٍ ومصدر إلهام لنا محبي شهداء محبة المسيح من جهةٍ أخرى.

ويقول **استِريوس أمَسيّاس**:«إما علينا أن نحترم الشهداء القديسين كمعلمين أو سنخشاهم ونهابهم لأنهم كموبخين ومستنكرين الخطيئة، لذلك علينا نحن أن نُظهر ونُبيّن بأنّ طريقة حياتنا المسيحية هي بحسب عيش وحياة القديسين الذين نكرمهم، فبالتالي علينا أن نطيع الله كأولئك القديسين الذين خضعوا لوصايا الله وآمنوا بمواعيده.»

إنّ ذكرى القديس العظيم في الشهداء جاورجيوس وصموده على إيمانه أمام الإمبراطور الروماني الوثني، يجب ألّا يُعْتَبَرَ بأنهُ حدثٌ يخص الماضي البعيد، بل هو أيضًا ما نراهُ في واقع حياتنا المعاصرة حيث أن الناس وأباطرة العالم الرومانية في هذه الأيام، يتجاهلون العدل والبِرَّ الإلهيَّ وينادون بتطبيق عدلهم الذاتي المريض.

ختامًا أيها القديس العظيم في الشهداء جاورجيوس المعروف في كل المسكونة ككوكبٍ نيِّرٍ أَنِرْنَا وهَبْ لنا أن نذكر دومًا بأننا جِبِلَّةُ الله وعَمَلُهُ، مخلوقون على صورتهِ ومثالهِ لكي نسير دومًا في طريق الرب، كما يُعلمنا القديس بولس قائلًا:«لأَنَّنَا نَحْنُ عَمَلُهُ، مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَعْمَال صَالِحَةٍ، قَدْ سَبَقَ اللهُ فَأَعَدَّهَا لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا» (افس٢: ١٠).

آمين

وكل عام وانتم بخير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

النُسك في حياة الرهبنة للقديس باسيليوس الكبير

شروط قبول الراهب الجديد.

سألوا القديس باسيليوس:

هل ينبغي لنا أن نقبل كل من يأتي إلينا ليصير راهبًا؟!.

وهل نقبلهم عندما يأتون؟ أم نمتحنهم أولًا؟!

فأجاب القديس وقال:

✝ – إنّ الله – محبّ البَشَر – قال: « تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ.» (مت ١١: ٢٨).

✝ – فليس خطرًا قليلًا أن نردَّ الذين يتقدّمون إلى ربّنا (للرهبنة) ويريدون أن يحملوا نِيْرَهُ الجميل، ووصاياه الخفيفة، وهي التي ترفعنا إلى السموات.

✝ – ويجب أيضًا ألّا نتركهم يدخلون – إلى هذه التلمذة – قبل أن يغسلوا أرجلهم، كتعليم ربّنا (بداية التكريس بحياةٍ نقيّة).

✝ – ولقد سأل الشّاب عن سيرته الأولى، فلما قام بتقييمها، أمره بأن يُكَمِّل ما يقوده إلى الكمال، وبعد ذلك يتبعه (مت١٩: ٢١).

✝ – لذلك ينبغي لنا – عند تقدُّمهم (الرهبان الجدد) إلينا، أن نستقصي بثبات عن سيرتهم الأولى (قبل الرهبنة) والذي يتم تقييمه تقييمًا ما، نساعده بالتعليم (بعد قبوله كراهب مبتدىء) لينمو إلى ما هو أعظم.

✝ – أما الذين أقبلوا راجعين من سيرة رديئة وعادات مُنْحَلَّةٍ، فينبغي أن يُفحَصوا (يُختَبروا) وقتًا طويلًا، لئلا يكونوا غير ثابتين، ومنقلبين إلى اللذة، لأنّهم سريعو الانقلاب، ممّا يسبّب خسارة (عثرة) لآخرين.

✝ – ولكن ينبغي ألّا نقطع رجاءَنا منهم، بل نُدخِلهم في امتحان يليق بهم، فنُجرّبهم زمانًا، في جهاداتٍ مُتْعِبَةٍ، لنعرف هِمَّةَ قلوبهم. وإن وجدنا فيهم عملًا ثابتًا فلندخلهم إلى المجمع، وإلّا فلنرسلهم (لأهلهم) قبل دخولهم (رسامتهم) كي لا يخسر (يَعْثُرَ) بسببهم الأخوة، أو غيرهم.

✝ – ومن جملة امتحانهم ننظر هل يُقرّون – بغير حياء – بخفايا أدناسهم، واستعدادهم للابتعاد عن الذين كانوا يشاركونهم آثامهم، حتّى أنهم يقولون كما هو مكتوب: «ابْعُدُوا عَنِّي يَا جَمِيعَ فَاعِلِي الإِثْمِ» (مز٦: ٨).

✝ – وهؤلاء – قبل كلّ شيء – يجب أن يتحفّظوا من السقوط مرّة أخرى في شرورهم السابقة [١].

١) يرى الآباء ضرورة أن يكسر الخَطَأَةُ حلقات الخطيئة التي يُقَيِّدهم بها ابليس، لسهولة التخلّص من حروب الشرير وهي «المكان + ظروف الخطيئة السابقة + الأشخاص المُغرين». فينجوا من فخاخ الشياطين.

(مقالة معرّبة عن مجلة العالم اليونانية)

إعداد راهبات دير مار يعقوب الفارسي المقطع – دده، الكورة

أن يكتشف الإنسان معنى الزمن هو مطلب يفوق قدرته. فمنذ منابع الدهر وحتّى أيّامنا هذه، والإنسان يفتّش ويفكّر ويتساءل: ما هو الزمن؟ بَيْدَ أنّ بعض الاستنتاجات التي تَوصَّل إليها عدد من الفلاسفة والعلماء، يُلقي شعاعًا من الضوء على شيءٍ من غوامض هذا المعنى فيتكشّف لنا ولو جزئيًا. فالفيلسوف المسيحيّ الكبير **المغبوط أغسطينوس** يقول:« إن سألني أحد عن معنى الزمن أجيبه بأنّي أعرف، ولكن إن طلب منّي شرحًا عنه فإنّي أقرُّ بعجزي، ومع ذلك أتجاسر وأقول إنّه لو لم تكن هناك أمور تحدث وتعبر لما كان يوجد ما يُسمّى ماضِيًا، ولو لم تكن هناك أمورٌ أخرى تأتي لما كان هناك ما يُسمّى مستقبلًا، وبالتالي لو لم تكن هناك أمور تحدث الآن لما كان هناك من حاضِرٍ».

أفكار متعدّدة ووجهات نظر متغايرة صُنِّفت حول روحانيّة البشريّة، وأمّا مشكلة الزمن فقد بقيت سرًّا مختومًا رغم النعوت الكثيرة التي وُصف بها. فأفلاطون يحدّده بأنّه «صورة الأبديّة»، فيما يقول أرسطو عنه بأنّه «مؤشِّر يتحرّك بين الماضي والمستقبل». وأمّا القدّيس مكسيموس المعترف فيعرّفه بدقّة أكبر قائلًا: «هو حركة تجري منذ خلق العالم. فمنذ اللحظة التي فيها خلق الله، غير المحدود في زمن، الدهور الزمنيّة لم يتوقّف الزمن. إذًا، فالزمن هو حركة الدهور». أمّا فيكتور هوغو فيحدّده بشكل أبسط على أنّه «ممرّ ضيّق مظلم ومجهول بين زمنين».

الزمن هو سير أو مجرى لم يعرف الانقطاع لحدث من الأحداث، أو لظاهرة من الظواهر منذ فجر الخليقة. ولهذا يحسّ الإنسان بشكل قويّ، ومعه الخليقة بأسرها، بالسرعة المخوفة الرهيبة التي ينقضي بها الزمن، لأنّ الزمن يتدخّل، وبشكل حازم، في حياة البشريّة.

الزمن هو سيف قاطع في حياة الإنسان، فإمّا أن يستثمره بشكل إيجابيّ، أو بشكل سلبيّ وذلك بحسب مقدرته ووعيه، وتاليًا من رَبِحَ وقته رَبِحَ معه كلّ شيء. من الضروري بمكان أن يبدأ هذا الربح بالكيف، ثمّ ينتقل إلى الكمّ، لأنّه ساعتها فقط، يصبح الوقت رحِمًا للرجاء وبذارًا صالحًا للحياة الحقيقيّة، فيصبح الزمن بحسب تعبير الكاتب الكبير شكسبير «أساس كلّ صلاح».

الزمن مدعاة للشعور بالمسؤوليّة، ويفسّر هذا المدلول نابليون بونابرت فيقول: «اصرف وقتك كما ينبغي، لأنّك إن قضيته بأمور لا تليق، يبقى منه القليل لتصرفه بما يجب ويليق، وليس هذا فقط، بل إنّ كلّ ساعة من الزمن تمرّ هباء من دون أيّ عمل صالح تضع نصب عينيك إمكانيّة عيشك مستقبلًا تعسًا».

ولكي يصبح الزمن حديقة باسقة الأشجار كثيرة الثمار، يجب أن يُستغلّ بجدّيّة واستقامة وبخاصّة في المجال الروحيّ، وفي هذا الصدد يقول الأديب الفرنسيّ **الملحد** فولتير: «لا يستطيع المرء أن يبلغ المجد الذي يتشوّق إليه، ولا إلى السؤدد الذي يطلب، ولا أن يحسّ بقيمة الزمن الضائع، وهو مبلبَل بهموم باطلة لا فائدة له منها، أو غارق في تساؤلات وأبحاث سخيفة لا تزيده غنًى». ويصرخ العَالِم باستور بتوجّع: «عندما أصرف ساعة من عملي هباء أعتبر نفسي سارقًا أمام البشريّة جمعاء». وهكذا أعطى باستور قيمة عظيمة

للزمن، كما ألمح بطريقة غير مباشرة إلى حتميّة مجديةٍ وصحيحةٍ لاستغلاله. ويقول يوحنّا براندفور: «أحسبها خسارة فادحة إن مرّت ساعة من حياتي من دون أن أقوم فيها بعمل صالح إن كان ذلك بريشتي أو بلساني».

للصبر دور بالغ الأهميّة في استغلال الوقت، فهو علاوة على أنّه مساعد فعّال لاجتياز صعوبات الحياة، يحفزنا على الاستفادة من الزمن. فبالصبر «نظفر بما نريد أكثر من الاعتماد على قوّة الساعد أو ميل المشاعر» كما يقول الشاعر الفرنسيّ لافونتين.

إنّ هذه الاستفادة الحكيمة والمتعقّلة بالزمن تهدّئ اضطراب الإنسان، وتزوّده بقوّة على مواجهة الصعوبات والمشاكل بشكل صحيح وصادق، وتفتح عينيه لرؤية العظمة الإلهيّة في ترتيب الزمن، فيقف نشوانَ فَرِحًا. وأمّا الشريان الذي يغذّي هذه كلّها، فهو القلب الرَّحْبُ والنفس المستقيمة الصادقة.

لا رَيْبَ أنّ الحرّيّة الساعية والرصينة هي إناء الحياة، سيّما إن كانت تستمدّ وجودها الحيّ من المحبّة الإلهيّة الأزليّة. ولهذا، فهي تساهم في اكتساب التقوى والعبادة الصحيحة، وتاليًا تؤدّي إلى السير في درب الخلاص. وهكذا يتلاشى الزمن الضائع، متحوّلًا إلى قوّة مستمدَّة من العلاء تغيّر الإنسان الداخليّ وتبدّله، لأنّ «الزمن هو الهبة الإلهيّة الأكثر كرامة، والتي سوف نعطي عنها جوابًا وحسابًا أمام عرش الله الديّان» كما يقول الموسيقار الألمانيّ باخ. ويؤكّد **القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم** هذا الزعم، فيقول: «إن بذّرت الذهب هنا وثمّة، فإنّك تستطيع أن تستردّه مرّة أخرى، ولكن إن ضيّعت وقتك كيفما اتّفق، فمن الصعوبة بمكان أن تسترجعه ثانية، لأنّ زمان هذه الحياة قصير مهما طال أمده».

وعندما يعيش الإنسان بِجِدِّيَّةٍ داخل الكنيسة يعيش ويعي، في الوقت نفسه، قداسة الزمن، هذا الزمن المقدّس الذي لا تستطيع قساوة الزمن المادّيّ ولا سطحيّته أن تسيطر عليه أو تلاشيه أو تفنيه. إنّه زمن لا يذوب ولا يضمحلّ وسط القلاقل الدنيويّة، لأنّه زمن سامٍ ومقدَّس بمحبّة الله الأزليّة، ويصل بالإنسان إلى ميناء الملكوت السماويّ الهادئ. إنّ عيش هذا الزمن الحاضر. بثبات واستمراريّة، عَبْرَ سرّ الصليب والقيامة، يشكّل الأساس لحياة مباركة سعيدة خارجًا عن حدود المكان والزمان، حياة يحياها الإنسان في النور الذي لا يوصف، حياة حقيقيّة وقويّة في المسيح يسوع.

ولكن هناك جانب آخر من الحياة مؤلم ومزعج وخطر، ولا يدركه الكثيرون ألَا وهو عناد من يصرّون على العيش بعيدًا عن مناخ المحبّة الإلهيّة وَفَلَكِهَا، وهكذا يتيهون ويهلكون، كما إنّهم يُهلِكون معهم الآخرين. إنّهم لا يربحون شيئًا، بل يربحهم الشيطان لحزبه، وبذلك يضيعون ويغرقون في عكر وأوحال هموم هذه الدنيا وقلاقلها. وَتُطْبِقُ عليهم أشراك مطاليب وحاجات فاسدة زائلة لا عدّ لها. ويعانون من شرخ داخليّ يجعلهم متصدّعي النفس، رازحين تحت وَقْرِ القلق والاضطراب والفراغ والألم التي سبّبتها حجج الحياة الباطلة والواهية، وفي نهاية المطاف يغمرهم اليأس ويهلكون. وتصبح حينئذ حياتهم بلا معنى ولا هدف وتعبيرًا عن غرق فظيع قد لا ينجونَ منه أبدًا.

إنْ تبنّينا فكرَ من يزعم بأنّ الزمن مرادف للمال، نكون قد خسرنا الحياة نفسها، لأنّ الحياة أثمن من المال. الزمن يمرّ ويعبر كالنهر الجارف، وهؤلاء الذين يؤلّهون المال تألفهم مشرَّدين يحتضنهم القلق، وعدم الأمان والجزع من خسارة المال. وتاليًا من ضياع حياتهم. وصدق الكاتب الفرنسيّ بول كلوديل القائل «بإنّ الزمن أو الوقت الحاضر هو بالحقيقة، مال تشتري به إمّا الحياة السعيدة الأبديّة أو الحجيم الرهيب الأبديّ». أمّا الذي يجاهد روحيًّا كابحًا جماح أهوائه، ومذلِّلًا شهواته تغذّيه شرارة الرجاء الحيّ يبقى متّقد القلب يمدّه الربّ بقوّته، ويسنده ضميره الحيّ الأمين.

الزمن هو النبع الأمّ للحياة الذي يقود المرء بهدوء وَتُؤَدَّةٍ إلى صدر يسوع المسيح. الزمن هو مهد الرجاء المشعّ، وقبر لحبّ المجد الخاوي. الزمن هو مراقب قاسٍ شديد للجهّال، ومرشد خلاصيّ وفيّ للحكماء، يجلب للأوّلين ما يخافونه، وللثانين ما يرغبون به ويشتهونه.

للزمن أو الوقت مفهوم عميق ومعنًى سامٍ وحجم لا يقاس عندما تملؤه نعمة الله، وتصبح المحرّك الأساس له. وسيبقى الزمن أبدًا إحدى نعم الله التي تنحدر علينا بسخاء بسبب المحبّة الإلهيّة المنسكبة عَبْرَ الصليب والقيامة، فيصبح المنبّهَ الروحيّ والدافع الشخصيّ لتطهير وقداسة كلّ إنسان وارد إلى هذا العالم.

هل القداسة عملية في أيامنا؟ الراهب موسى الأثوسي

كلّ القديسين «**جاهدوا الجهاد الحسن وحفظوا الإيمان**».

القديسون هم مجاهدون غالبون معترفون باسلون. لقد زارهم الروح القدس وحلّت عليهم النعمة. لم يكونوا صالحين ونبلاء ومشرقين وأخلاقيين فَحَسْب، بل كانوا أيقونات للمسيح. إنهم الذين اتّحدوا بشكل لا فِكَاكَ منه بالمسيح، وهم يكشفون المسيح للعالم ويقودون الناس إليه. يثبت لنا القديسون أنّ الإنجيل قابل للتنفيذ وعملي عَبْرَ العصور، وأننا إذا رغبنا يمكننا أن نسعى إلى الاتّحاد بالمسيح. بقبولهم المسيح في حياتهم بدون تحفّظ، صاروا على شَبَهِهِ ومتوشحين به ومعاينين له. بهذه الطريقة، يشهدون له ويعترفون به ويعظون عنه ويقدّمونه في كل مكان وزمان. لا يستطيعون أن يحيوا من دون المسيح، فهو لهم كل شيء.

غالبًا ما يُتاح لنا أن نعترف بالمسيح، فأحيانًا نقوم بذلك بسرعة

وسرور، وأحيانًا بصعوبة وأحيانًا بخوف وأحيانًا بخجل. المؤمن الحقيقي يعترف بالمسيح دائمًا بلا خوف، لأنّه يحيا في التوبة والاتضاع. يشعر بالخوف لكنه يؤمن إيمانًا كاملًا بالمسيح ويتقوّى به بِغِنًى. يعترف بالمسيح الذي فيه. أحيانًا من الصعب الاعتراف بالمسيح حتّى للذين هم مقربون منّا وأعزاء علينا. من ثمّ، بحسب الإنجيل، يصيرون «أعداء الرجل أهل بيته». يحدث أنّ أناسنا لا يفهموننا، لكن أليس حَرِيًا بنا أن نحاول بتروٍّ أن نتكلّم عن المسيح؟ أو أن نذهب أحيانًا إلى الطرف الآخر، أي أن نحدّثهم كثيرًا عن المسيح حتى نتعبهم ونسبب لهم المرض والضغط، حتى لا يعيدوا يطيقون سماع أي كلام عن المسيح. لا يمكننا أن ندفع أيًا كان إلى اتّباع المسيح، ولا أن نتسلّط عليه أو نلزمه، حتّى وتحديدًا خاصّتنا.

المسيح هو الحرية والمحبة. إنّه لا يشجع ولا يطلب أي ابتزاز. نحن مدعوون إلى إلهام الناس على محبة المسيح. عندما يسلّم الإنسان نفسه لسجن «**الأنا**» القادرة، ويعاني من الأنانية والفردية ومحبة الذات والكبرياء، من الصعب أن يحب الآخرين، وأكثر من ذلك الله. وهكذا هو عاجز عن الاعتراف أمام الناس. مَن لا يعترف علنًا يعني أنّه لا يمتلك المحبة. مَن لا يحب يحكم على نفسه بوحدة جليدية تبدأ في هذه الحياة وتستمر إلى الأبدية. الأناني المحب لذاته يشعر بمحبة الله نارًا، ولا يستطيع مقاومتها، ولا يريد ذلك، وهي تزعجه وتحرقه.

يوجد اليوم مسيحيون يحبّون القديسين، ويدرسون سِيَرَهُمْ ويسرعون إلى أعيادهم ويضيئون قناديل الزيت تكريمًا لأيقوناتهم، ويبنون الهياكل على شرفهم، كما المزارات والأيقونات والقناديل والقرابين والتقدمات والقمح المسلوق وغيرها. كما يوجد اليوم مَن لا يحبّون القديسين، ولا أتكلّم هنا عن الملحدين وفاقدي التقوى وغير المتدينين، بل عن المتأثّرين بالعقلانية واللاهوت الفكري الحديث الذي يعتبر كلّ هذه الأمور مرضًا وتقوى شعبية غَيْرَ لاهوتية. للأسف، كثيرون من المسيحيين لا يدركون قيمة القديسين العظيمة وأهميتهم في حياتنا.

لم تَخْتَفِ في أيامنا تقوى المؤمنين محبّي القديسين، ولا توقيرهم ولا حماستهم. يمكن للمرء أن يرى ويفرح بالبيوت الملأى بالأيقونات مع قناديل الزيت التي لا تبهت، والشموع التي لا تُطفأ والمباخر، والجدّات يتحدثن مع دموع عن حضور القديسين في حياتهن، متأمّلات بأنّ شفاعة القديسين ووالدة الإله سوف تخلّصهن وتساعدهن على دخول الملكوت. محبّو القديسين هم أولئك الذين حتّى اليوم، يطلبون أن يجدوا قديسين حقيقيين ليتأيدوا بهم ويستفيدوا. فَهُم لا يختلقون قديسين خياليين، ولا يتبعون أولئك الذين يلعبون دور الإله أو القديس الزائف، بل هم يركعون للقداسة الصحيحة الأصيلة. محبّة القديسين هي خيرة الجماعة في الرعايا. إنّهم يكملون التقليد، ويوقّرون تذكارات قدّيسينا، لا يروّعهم القديسون الزائفون بسهولة، ولا هم يتأثّرون أو يعانون بالفضائح في الكنيسة، سواء كانت صحيحة أم لا. عندما يكونون في ظروف صعبة، كوقوعهم تحت نظام استبدادي، فهم يتحمّلون بشجاعة، متأمّلين ومنتصرين.

القديسون دائمو الاتضاع، لأنّهم مقتنعون بأن كل ما هو صالح هو مُعطى من فوق، وليس من غنائمهم. فهم لا يمكنهم أن يتباهوا بمواهبهم، لأنّها من لدن أبي الأنوار. قديسونا، في وعيهم الكامل لمواهبهم، يقدّمون كل التمجيد والإكرام والسجود لله المعطي. عندما يمدحهم الناس يمدحون مصدر كل صلاح، الله الكلي صلاحه. بقدر ما يرى الله أنّ الإنسان يواضع نفسه، يمنحه بالأكثر بركة ونعمة، لأنّه دائمًا «يعطي المتواضع نعمة». إن استعمل الموهوب مواهبه لمجده ولمنفعته الشخصيين، سوف يفقدها بالطبع، ويظهر بشكل بائس أمام الشعب الذي استغلّه. ابتداءً من هذه الحياة سوف يكون مشوش الفكر، حائرًا وبائسًا، يتوقّع النار الأبدية.

أيها الأحباء، يوجد في هذه الأيام المضطربة الكثيرُ من القداسة المخبّأة. ليس فقط بين العائشين كرهبان بلا اسم، مجهولين، مغمورين في الصحارى والأديرة، ولكن أيضًا في العالم. الزوجات اللواتي يحتملن استقالة أزواجهم وتقلّبهم وسكرَهم، وحيدات مُهانات ومتروكات، دون أن يقودهم الأمر إلى الطلاق، بل يحتملن ويأمُلْن ويصلين ويرجون أن يتركن مثالًا حسنًا لأولادهن. إن موقف الأمّ يعلّم الأولاد، فهي مثال ممتاز، ودافِع إلى الفضيلة. هذا الدرس لا ينسونه في كل حياتهم. هذا التعاطي البطولي قادر على تحويل الزوج العنيف ويعطي المرأة إكليل الصبر. نحن نعرف بطلات نادرات في الإيمان عشن لسنوات كثيرة حياة رعب وعذاب بصمت، وصبر وصلاة ودموع واتّضاع وثقة بالله ورجاء به. كيف لله ألّا يهب النعمة لهذه النفوس الجميلة؟

كما ترون، للقداسة أوجه كثيرة. الذين في العالم لن يُحاكَموا لأنّهم لم يقوموا بصلوات كثيرة، مع أنّ بعضهم يتفوّق على الرهبان في ذلك. قال **القديس يوحنا الذهبي الفم**: «الشعب سوف يخلص بأعمال الخير. الحَسَنات تُظهِر نفسًا متواضعة تعرف كيف تحبّ. في هذا الزمن الشرير الضاغط، مَن يكون متواضعًا بريئًا نقيًا شريفًا صادقًا عادلًا بارًّا وحكيمًا يكون له الكثير في الملكوت».

المسيح والأسقف ووحدة الكنيسة
عند القديس أغناطيوس

الأب جان مايندورف – تعريب شفيق حيدر

« إنه لمن الموافق لكم أن تكونوا في وحدة غير متجزئة حتى تبقوا مع الله دائمًا» (من رسالة القديس أغناطيوس الإنطاكي إلى أهل أفسس ٤ : ٢)

في عهد **الإمبراطور تريانوس** (٩٨ – ١١٧) «أضاء أغناطيوس الذي أتى ثانيًا في تَسَلُّم أسقفية أنطاكية كخليفة للرسول بطرس. ويقال أنه كان قد أرسل من سوريا الى مدينة الرومانيين لتُمَزِّقَهُ الوحوش بسبب شهادته للمسيح. وفي اجتيازه آسيا أخذ يشجع الجماعات المسيحية في كل المدن التي مرّ فيها بخطب وتحضيض محذرًا إياهم قبل كل شيء من البِدَعِ التي بدأت تتزايد ومتوسلًا إليهم أن يحفظوا بشدة التقليد الرسولي الذي أراد كتابته زيادة في التأمين. هكذا كانت شهادته».

يظهر طيف القديس أغناطيوس بوضوح في هذه الملحوظة القصيرة التي تركها **المؤرخ أفسابيوس** (القرن الرابع). أنه كان شاهدًا للمسيح (وفي اليونانية «شهيدًا») وقد لقيت شهادته الشفوية كل قيمتها لأنه كلّلها بشهادة أرفع، شهادة موته في روما.

ولتعليمه المتعلق بالمسيح والكنيسة طابع «وجودي» فهو ليس تأملًا مجرَّدًا بل إعلان الحقيقة التي تهُمُّنا في كل هنيهة من حياتنا على الأرض. وتُعرف فكرة القديس أغناطيوس من محاجته أصحاب بدعة المشبّهة خاصة هؤلاء الذين أنكروا حقيقة التجسد الإلهي، متصورين جسد ابن الله مظهرًا فقط وغير معتقدين بالتالي بحقيقة آلام المسيح وموته. فكتب القديس أغناطيوس ضدهم: «يسوع المسيح هو من سلالة داود وابن مريم، إنه وُلد حقيقة وأكل وشرب وتألّم على عهد بيلاطس البنطي وصلب حقًا ومات أمام السماء والأرض والجحيم وقام أيضًا بالحقيقة من بين الأموات. إن أباه قد أقامه وسيقيمنا، نحن المؤمنين به، بالمسيح يسوع كما أقامه...» (الرسالة إلى أهل ترالس ٩:١-٢). ولتبيان مفهوم «إنسانية» المسيح يستعمل القديس أغناطيوس مدلول كلمة «الجسد» الكتابي فهي تفيد كل عنصر الوجود المخلوق «الذي يرزق كل ذي جسد طعامه...« (مزمور ١٣٥:٢٥)، «والكلمة صار جسدًا إنسانيًا ماديًا فقط، أنه أيضًا كل المركب النفسي الذي يرمي إلى الاستقلال عن الله في الخطيئة والثورة ضده وبالتالي للاستسلام إلى الموت. وقد استعاد هذا «الجسد» كرامته الفردوسية لما اتّخذه ابن الله الوحيد.»

يهدف إذًا تعليم القديس أغناطيوس عن المسيح إلى تأكيد حقيقة التجسد وطابعه المحسوس، ويعبّر عن هذه الأفكار بوضوح في رسائله التي خصصها للشهادة وللكنيسة. «لو لم يتألم المسيح إلّا في الظاهر، كما يقول بعض الزنادقة أي الكافرين، فلماذا أنا مُقَيَّد؟ ولماذا أتوق لمصارعة الوحوش؟ فهل أسلم نفسي للموت للا شيء وأفتري هكذا على السيِّد؟ (الرسالة إلى أهل ترالس ١٠ صفحة ١١٠-١٢١).

ولو لم يمت المسيح حقيقة لكان موت المؤمن به فعلًا بطوليًا إنسانيًا لا «شهادة» لانتصاره. وبالعكس فلو مات المسيح وقام حقًا ولو كان جسدنا جسده لما كان موتنا سوى تثبيت انتصاره وشهادة على أن «لا سلطان للموت علينا». لذا يطلب القديس أغناطيوس من المسيحيين في رومية ألّا يتوسّطوا من أجله حتى لا يمنعوه من الموت «في المسيح». «إن الموت لأجل المسيح (والاتحاد به) لأعزّ عندي من ملك الدنيا من أقاصيها الى أقاصيها فإياه أطلب هو الذي مات عنا وإياه أنشد هو الذي قام من أجلنا، إن موعد ولادتي يقترب» (الرسالة الى الرومانيين ٦ صفحة ١٣٣).

كان موت الشهداء يسمّى في الكنيسة الأولى ولادة لحياة جديدة ولا يمكن أن تعني هذه الفقرة الأكيدة شيئًا إلّا إذا جمعت بين المسيح والمسيحي وحدة حقيقية يدعوها أغناطيوس «وحدة الجسد والروح»

وتتحقق هذه الوحدة في الكنيسة (الرسالة إلى أهل أزمير صفحة ١٦٧).

أما تعليم القديس أغناطيوس عن الكنيسة فيتّسم أيضًا بالطابع المضاد لبدعة المشبّهة كتعليمه عن المسيح. وكما أن المسيح لم يتأنّس خارجيًا، بل كان له جسد ملموس ومنظور كذلك فالكنيسة ليست حقيقة روحية غير محسوسة وحسب بل هي شركة منظورة أيضًا. ولا معنى لتجسد ابن الله إذا لم تكن الكنيسة نفسها مؤلفة من «جسد ودم» يوحيهما ويقدسهما جسد المسيح ودمه. وإذا كان موت المسيحيين آستمرارًا للجلجلة فحياتهم في نظر القديس أغناطيوس هي أيضًا حياة المسيح، حياة إنسانية بالكلية قَبِلَهَا آبن الله.

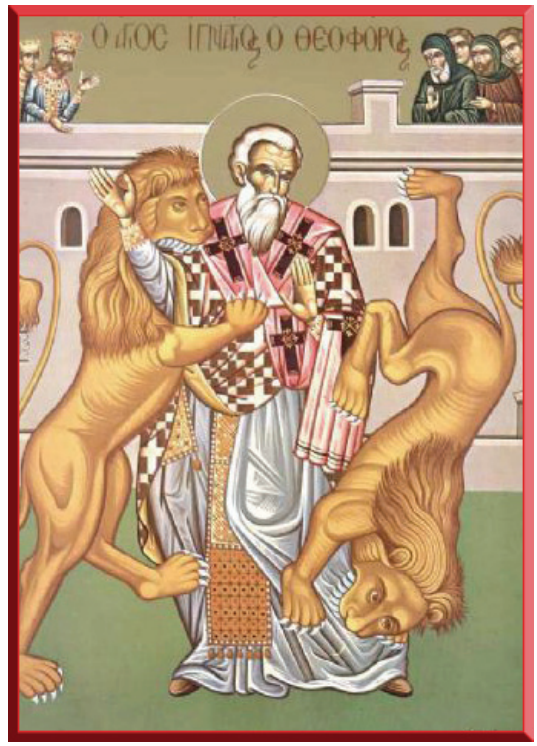

القديس اغناطيوس الانطاكي

لا أرى مجالًا للتشديد على ظهور بدعة المشبّهة من جديد، فهي ليست بدعة حدثت في بدء المسيحية ثم انقرضت. إنها مرض نشكو منه باطنيًا خصوصًا في أيامنا هذه. وفي الواقع أننا نقبل بسهولة عظيمة التعليم الأرثوذكسي عن المسيح الذي أخذ ملء الإنسانية، ولكنّا في الوقت ذاته كثيرًا ما نقع في هرطقة التشبيه فيما يخص الكنيسة، إذ نفصم وحدتها ونفصل تنظيمها المنظور عن جوهرها «غير المنظور». وخصوصًا بإخضاعنا تنظيم الكنيسة وإدارتها لمبادىء أرضية ووطنية وسياسية أو شخصية. وهذا مما يبعدنا عن حقيقة الكنيسة التي هي حضور منظور في التاريخ لجسد المسيح المُؤَلَّه. إذن طالما نحن نعتبر الكنيسة من نوع الحقائق غير المنظورة، ونخضع تنظيمها للمقاييس الأرضية غير المقدسة، نكون قد أنكرنا واقعية التجسد ورفضنا فاعليته في الكنيسة.

وكلّما تكلّم القديس أغناطيوس عن الكنيسة، فإنه يضمر شركة المؤمنين المحسوسة والمنظورة والمؤسسة على المحبة. والسيد ذاته في إنجيله الطاهر لا يعلمنا أن نحب الإنسانية عامة محبة شكلية، بل أن نحب قريبنا الشخص الملموس، والمقصود الناس الذين دُعينا لنلقاهم في حياتنا اليومية. والكلّ يعرف أن المحبة عن بُعد سهلة بينما العيش مسيحيًا مع المحيطين بنا مباشرة أمر غاية في الصعوبة.

ويذهب القديس أغناطيوس إلى أنَّ الجماعة المسيحية التي تعيش في مكان واحد هي تؤلف كنيسة الله الآب في المسيح يسوع. ف «حيثما اجتمع آثنان أو ثلاثة باسمي فأنا أكون هناك فيما بينهم» يقول الرب، ويكتب القديس أغناطيوس إلى أهل أفسس قائلًا: «اهتموا بأن تجتمعوا بتواتر لترفعوا الشكر والتسبيح لله لأن اجتماعاتكم الكثيرة تغلب قوات إبليس وتقوض أفعاله التخريبية بوحدتكم في الإيمان». (الرسالة إلى أهل أفسس صفحة ٨٣).

قلّما نعي أن اجتماعنا الكنسي ليس فقط ضروريًا «لخلاص نفوسنا» بل أنه علاوة على ذلك انتصار موضوعي على إبليس الذي يعمل جاهدًا لشقّ البشر، وبالتالي لإبعادهم عن الله ولا شيء يسرّه مثل الانقسامات بين المسيحيين. والاتحاد في الكنيسة يفترض دائمًا التقاء الجميع في إيمانٍ واحد. يكتب القديس أيضًا: «تجتمعون في إيمانٍ واحد بيسوع المسيح، ابن البشر وابن الله، الذي هو من سلالة داود بحسب الجسد لتطيعوا الأسقف والكهنة، (بإتفاق وبلا مشادة) كاسرين الخبز الواحد الذي هو دواء لكيلا نموت بل نحيا في المسيح يسوع حياة إلى الأبد» (الرسالة إلى أهل أفسس ٢،٢٠ صفحة ٩١).

بالتجسد الإلهي وهب الله الإنسان الحياة الأبدية في جسد المسيح أي الكنيسة، في جماعة المؤمنين التي يتمّ فيها سرّ جسد الرب ودمه، التي تضم كلّ الذين يؤمنون حقيقة والمتحدين في وحدة الأسرار والرئاسة. ومن بديهيات وحدة الأسرار هذه أن المسيحيين حيث وُجِدُوا لا تفصلهم اعتبارات زمنية، لأنه اذا كان الانفصال عن المسيح الواحد ممكنًا فتجزئة المسيح الواحد غير ممكنة.... فالمسيح حاضر بكليته في كل كنيسة محلية، وهو لا ينقسم كما أن الكنيسة ذاتها لا تنقسم. «حيث يوجد المسيح فهناك الكنيسة الجامعة» أي الكنيسة كلها، الرأس والجسد. (الرسالة إلى كنيسة ازمير ١،٨ صفحة ١٦٣). باستطاعتنا الخروج عن الكنيسة وبالتالي الانفصال عن المسيح، ولكن من غير المستطاع إيجاد كنيسة خاصة أو قومية لأن الكنيسة دومًا كنيسة الكل.

أما تنظيم الكنيسة الداخلي فتحدّده طبيعتها كما يراها القديس أغناطيوس: إذن لا يمكن أن يقصد بهذا التنظيم هيئة تعلو على الجماعة وهي خارجة عنها. الكنيسة هيئة منظورة لأن ابن الله قد تأنّس بشكل ظاهر. « أتوسل إليكم أن تهتموا لعمل كل شيء في وئام الله تحت رعاية الأسقف الذي يرأس الكنيسة مكانه تعالى والكهنة الذين يخدمون محل مصف الرسل والشمامسة....» (الرسالة إلى أهل مغنيسية ٢:٦ صفحة ٩٩).

الكنيسة بتمامها حاضرة في اجتماع الخدمة الإلهية: يمثّل الأسقف الله ذاته كالسيد في العشاء السري ويمثل الكهنة الرسل. قد يبدو لنا غريبًا أن يجلس في «مكان الله» رجل خاطىء... ولكنّا نعلم أن الكنيسة كلها هي جسد المسيح وأننا مدعوون كلنا لإظهار المسيح أمام العالم: هكذا يظهر الأسقف – أو الكاهن الذي يقيم الخدمة – صورة المسيح لجماعة المسيحيين. وهنا لا يزال يكمن بالذات سر تجسد الله الحقيقي الذي يظهر وحدة الله والناس... ودرجة الأسقف هي بالضبط ودون شك «رتبة» وهي ليست تحولًا سحريًا من الإنسان الى الإله. وقد يجد

الأسقف نفسه غير مستحق لمواهب النعمة التي ينالها لهذه الرتبة الشريفة... ولكن بالرغم من ذلك يبقى مفعول النعمة الإلهية والرتبة الشريفة. ويكمن سر الكنيسة في أن يتحد أناس خَطَأَةٌ فيما بينهم ليس بحسب العالم (عند القديس أغناطيوس «بحسب الجسد») ولكن «في المسيح» مظهرين هكذا ملكوت الله ووحدة الثالوث الأقدس على الأرض. «تحلّوا بصفات الله واحترموا بعضكم بعضًا ولا ينظرنّ أحدكم إلى قريبه بحسب الجسد ولكن أحبّوا دائمًا بعضكم بعضًا بالمسيح يسوع. ولا يكونن فيكم ما يفصم وحدتكم ولكن حافظوا على اتحادكم بالأسقف وبالرؤساء رمزًا وبرهانًا لعدم الفساد. » (الرسالة إلى أهل مغنيسية ٢،٦ صفحة ٩٩).

لا مكان في الكنيسة لعاداتنا مهما عزت، ولا لتقاليدنا ورغباتنا بمقدار ما تكون عناصر تفرقة بين البشر. وبهذا المعنى (يتابع القديس أغناطيوس): «كما أن المسيح لم يعمل شيئًا بذاته أو بواسطة رسله من دون الآب الذي هو واحد معه: لذلك أنتم لا تفعلوا شيئًا دون الأسقف والكهنة، ولا تحاولوا أن تظهروا ما تنفردون بعمله صالحًا، بل اصنعوا كلّ شيء متحدين: صلاة واحدة، تضرع واحد، روح واحدة، رجاء واحد في المحبة وفي الفرح المقدس. هذا هو يسوع المسيح الذي لا يفصله أحد. سارعوا إلى أن تتحدوا اتحادكم في هيكل واحد لله، اتحادًا حول مذبح واحد في المسيح الوحيد الذي خرج من الآب واحدًا وكان معه لوحده ومن ثم عاد إليه» (الرسالة إلى أهل مغنيسية ٧ صفحة ١٠١).

أما تنظيم الكنيسة ذاك الذي يظهرُ وَحْدَةَ الجماعة فيرتكز على علاقة المؤمنين ببعضهم في النعمة، الآن وقد أصبح مثل هذه العلاقة ممكنًا بتجسد الإله. وهذه العلاقة ذاتها أساسها ليس مجردًا يحدّدها بصورة عامة، بل المحبة للبشر الحقيقيين الذين وضعنا الله بينهم والذين معهم دُعينا لنؤلّف جماعة الكنيسة. لذا لا يتكلّم قديسنا الإنطاكي إلّا عن تنظيم الكنيسة المحلية، الذي هو في نظره انعكاس لحضور جسد المسيح في كل ما كان، وهكذا فإن هذا التنظيم يعكس طبيعة الجماعة وهو أسمى إظهار للحياة الجديدة: «عندما تخضعون للأسقف كما للمسيح لا أراكم تعيشون حسب الناس بل حسب يسوع المسيح الذي مات من أجلكم حتى إذا آمنتم بموته تعتقوا من الموت» (الرسالة إلى أهل ترالس ١،٢ صفحة ١١٣).

ويسوق القديس أغناطيوس، الأفكار نفسها أيضًا في رسالته إلى أهل مغنيسية: «يحسن أن تخضعوا (للأسقف) دون أي رياء لأنكم بذلك لا تغشّون هذا الأسقف المنظور (فقط) بل تعملون على خدع الأسقف غير المنظور. إذ المقصود في هذه الحال الله الذي يعرف الخفايا، لا الإنسان الذي لا يعرفها. ويحسن أيضًا أن لا تكونوا مسيحيين بالإسم فقط بل بالفعل أيضًا. عندما يتكلم البعض عن الأسقف فإنهم يسهبون ولكنهم بدونه يفعلون كل شيء فيبدو، وكأنهم لا ضمير لهم لأن تجمعاتهم غير شرعية وغير منطبقة على الوصايا» (الرسالة إلى أهل مغنيسية ٣،٤ صفحة ٩٧).

إنّ كلّ ما كتبه القديس أغناطيوس عن طاعة الأسقف يجب أن يفهم بصورة طبيعية ضمن إطار تعليمه عن الكنيسة، لأن الكلّ كان يفهم في ذلك الزمن أنّ الأسقف لا يمارس سلطته فوق الكنيسة، بل في الكنيسة وأنّ خدمته تحدّد بالمكان الذي يشغله في جماعة المؤمنين والذي هو «مكان الله تعالى» وهذه الخدمة لا تتمّ إلّا في الجماعة ذاتها التي انتخبته وهكذا فإن الرتبة الأسقفية لا تفترض عصمة الأسقف، ولا تنفي عنه الضعفات والنقائص البشرية، وقد عرفت الكنيسة الأولى حالات كثيرة طرد فيها شعب الكنيسة الأساقفة غير المستحقين أو الذين خانوا الأرثوذكسية. وحيثما يُكَبِّر القديس أغناطيوس رتبة الأسقفية، يقصد بشكل خاص النعمة التي يحصل عليها الأسقف. ولكن من المعلوم أن النعمة لا تعمل بصورة سحرية ولا تلغي بالضرورة الحواجز التي يوجدها البشر. ففي كثير من الأحيان يفشل أهل النعمة ومعهم جماعات بشرية بكاملها في الحفاظ على قواعد الحياة الجديدة، والعلاقات الجديدة البشرية: تلك تكلم عنها القديس أغناطيوس.

وهكذا فإن تعليم القديس أغناطيوس عن الكنيسة تام كما رأينا، لأنه مرتكز على تعليمه عن المسيح. ففيه يبدو بوضوح أن المسيح واللحم لا يتفقان، وأن ملكوت الله يتعارض مع الملك الذي يزال يخضع لإبليس، ولكن هذا التعارض بين ما لله وما للناس لم يعد وحده الميزة الرئيسة لحياة الكنيسة بعد صعود المسيح، وحلول الروح القدس لأن الخلاف العميق صار الآن بين الإنسانية الممجدة الناجية والإنسانية الساقطة.

وقد تصالح الله والإنسان صلحًا ابديًا في المسيح يسوع وعاد الإنسان إلى بيت الآب، وما الكنيسة المقدسة التي هي الملكوت الأبدي على الأرض إلّا هذا البيت لأن الملكوت حاصل في كل حقيقته إذا «آجتمع آثنان أو ثلاثة بآسم المسيح». ولا يعنيّ هذا أننا كأفراد قد حصلنا على تمام النعمة المرتبطة بالكنيسة كجماعة.

وأخيرًا يدعونا القديس أغناطيوس في تحديد الكنيسة إلى أن نطبّق حياتنا الشخصية على نواميس الجهاز الذي نحن أعضاء فيه، فيقول في رسالته إلى أهل أفسس: «لا تسمح لي المحبة أن أصمت فيما يخصكم وأنا من أجل ذلك تقدمت لأحضّكم على السير بحسب فكر الله لأن يسوع المسيح، حياتنا غير المنفصلة، هو فكر الآب كما أن الأساقفة المقامين على أقاصي الأرض هم أيضًا فكر المسيح».

إن الزلل الذي يحدث في هيكل الكنيسة الإداري دينونة علينا نحن لا على الكنيسة ذاتها فالكنيسة الحقيقية هي حيث يوجد المسيح فهناك الكنيسة الجامعة حسب قول القديس أغناطيوس.

فعسى أن نكتشف مجددًا لدى قراءتنا القديس أغناطيوس معنى الوحدة الكنسية في الولاء والأمانة لذلك الذي نؤلف جسده في الروح القدس.

الترجمة عن مجلة *Le Massager Orthodoxe* الفرنسية والنص العربي من مجلة النور

معجزة حديثة

للأب باييسيوس في سيريس*

الإيبوذياكون أمفيلوخيوس

نقلها إلى العربية الأب أنطوان ملكي

ضريح القديس باييسيوس
في دير القديس يوحنا اللاهوتي
في سوروتي

بنداليس شاب في الثامنة عشرة من عمره ويتعاطى المخدرات. تعرّض لحادث مريع وهو يقود دراجته النارية بالقرب من قريته ما أدّى إلى جروح خطيرة في الرأس وارتجاج في المخ. على الأرجح أنه كان تحت تأثير المواد المخدِّرة، لأنه بالرغم من خضوعه لبرنامج إعادة تأهيل، لكن شيطان الهيروين لم يتركه. على اثر الحادث، أُدْخِلَ إلى غرفة العناية الفائقة في مستشفى سيريس العام.

بعد فترة دخل في غيبوبة ما أدّى بالأطباء إلى اعتباره ميتًا دماغيًا، وإذ فقدوا كل حيلة لعلاجه رفعوا ايديهم واخبروا والدته الثكلى بأن الوضع بيد الله. كان موعد الرأي النهائي حول الموت الدماغي الثالث عشر من تموز، اي قبل يوم واحد من بلوغ ابنها الثامنة عشرة. بدلًا من دخوله حياة البالغين، كانت تعاينه في السرير مكافحًا، لا ليواجه كارثة المخدرات المعروفة، بل في معركة بقاء مباشَرَة.

لم تستسلم السيدة اناستاسيا، بل عملت بنصيحة أبيها الروحي، الأب أثاناسيوس، وفي اليوم التالي صباحًا ركبت الحافلة إلى تسالونيكي، ومن هناك توجّهت مباشرة إلى دير القديس يوحنا اللاهوتي في سوروتي. لقد كانت اناستاسيا تعرف عظمة الأب باييسيوس، لكنها لم تكن تعلم أنّه في ذلك اليوم، أي الرابع عشر من تموز، تقع الذكرى الثامنة عشرة لرقاد الشيخ. لقد تفاجأت عندما وصلت ورأت الناس مجتمعين، ولكن عندما استنتجت أن ابنها الوحيد مولود في يوم رقاد الأب باييسيوس كادت أن يغمى عليها. لقد شعرت بشيء ما زالت إلى اليوم تعجز عن وصفه. لقد أحسّت باتّحاد مع قداسة الشيخ ومع هالته، وبأنّ شيئًا حسنًا سوف ينتج عن هذا.

بالرغم من حراجة وضع ابنها، لم تستغلّ الأمر لتتقدم على الصفوف، بل انتظرت بتواضع وسجود لما يزيد عن أربع ساعات حتّى جاء دورها لتسجد في المكان الذي يرقد فيه الشيخ باييسيوس. صلّت لابنها وأخذت بعض التراب عن القبر، وحملته إلى ابيها الروحي، الذي بعد أن صلّى عليها صنع منها تميمة. حملت السيدة اناستاسيا التميمة وأسرعت إلى المستشفى ووضعتها تحت وسادة ابنها. في تلك الليلة رأت الأب باييسيوس الذي قال لها: «لا تخافي، بنداليس سوف يتحسّن».

في صباح اليوم التالي، قام بنداليس معافىً، ما عجز الأطباء عن تفسيره. أما الغرفة فقد امتلأت من عطر قوي تبيّن أن مصدره وسادة بنداليس، التي وضعت الأم التميمةَ تحتها. الأمر الوحيد الذي يذكره بنداليس من فترة همومه هو صورة شيخ متشح بالسواد يقول له: «تعالَ، قمْ، الكوليفا التي لك ليست جاهزة، وسوف يمضي وقت طويل قبل أن نأكلها». منذ ذاك الصباح صار بنداليس ينفر من المخدرات واستعاد صحته، وعاد إلى الدرس محاولًا دخول الجامعة. وصار يعترف عند الأب أثناسيوس أبي أمه الروحي، وقد وافق أن تُنشَر قصته.

«عندما يعجز أحدهم عن الفهم بالحسنى، يعطيه الرب تجربة، ليستعيد عافيته. ما لم يكن هناك بعض الألم والمرض وغيره، يصير الناس كالوحوش ولا يتعرّفون على الله بالكلية» (الأب باييسيوس)

*سيريس منطقة في شمال اليونان.

المقال عن مجلة ذيالوغوس *ΔΙΑΛΟΓΟΣ* اليونانية.

لا تُعطوا نعاسًا لعيونكم ولا نوما لأجفانكم، حتى تقدموا أنفسكم ذبيحة لله في كل قداسة لكيما تروه، لأنه بدون القداسة لا يستطيع أحد أن يرى الرب.

القديس أنطونيوس الكبير _ الرسالة الخامسة

الخطيئة الجديّة

بحسب الأب يوحنا رومانيدس

نقلها إلى العربية الأب أنطوان ملكي

حلّل الأب رومانيدس كتابات آباء القرون الأولى في الكنيسة المسيحية، واستنتج أنّه بالرغم مما يراه الغرب المسيحي بأن أوغسطين هو أول كاتب ومدقق عالج هذا موضوع «**الخطيئة الجدية**»، إلّا إنّ عددًا من الكتّاب الآبائيين الشرقيين عالجوا الموضوع نفسه، وتوصّلوا إلى استنتاجات مختلفة عمّا توصّل إليه أوغسطين. هذا ما يعني أنّ الفهم الأوغسطيني لآدم والخطيئة لم يكن الفهم الوحيد، ولا هو الأكثر أهمية بين لاهوتيي القرون الأولى. فلدى الشرق المسيحي كتّابه الذين اتّبعوا خطاً مختلفًا في التفكير.

يضع الأب رومانيدس، كنقطة بداية، موقع الموت الذي صار لآدم وللإنسانية. ما إن ابتعد البشر عن الله حتّى وُجِدَ الموت وتبعته الخطيئة، ما معناه أن خطيئة الإنسان هي الابتعاد عن الله.

يستشهد رومانيدس بالقديس باسيليوس في قوله: «على المنوال نفسه، بقدر ما ينفصل الإنسان عن الحياة، يقترب من الموت بالقيمة نفسها. لأن الحياة هي الله، وفقدان الحياة هو الموت. إذًا، هيّأ آدم الموت لنفسه بانسحابه من الله، كما هو مكتوب (الذين ينفصلون عنك يخسرون). وعليه، الله لم يخلق الموت، لكننا نحن جلبناه لأنفسنا بعملنا السَّيِء. ولا هو منع الفناء للأسباب التي سبق لنا قولها: حتّى لا يخلّد المرض فينا».

من جهة أخرى، يستشهد رومانيدس أيضًا بالقديس أثناسيوس الكبير: «عندما ابتعد البشر عن الأبديات، بمشورة الشيطان، عادوا إلى أشياء الفساد وصاروا هم أنفسهم سبب التحوّل إلى الموت».

وحول خلق الإنسان وسقوطه، يكتب القديس ثيوفيلوس الأنطاكي: «لو أنّ الله خلق الإنسان منذ البداية خالدًا، لكان جعله إلهًا. من جهة أخرى، لكان صنعه قابلًا للموت، لكن الله ظهر وكأنّه علّة الموت. لهذا صنعه لا مائتًا ولا خالدًا، كما ذكرنا سابقًا، لكنّه قابلٌ لأن يكون أيًّا من الاثنين حتّى إذا ما مال نحو أمور عدم الموت، وحفظ وصايا الله يستحق منه عدم الموت مكافأةً ويصير إلهًا. أمّا إذا تحوّل نحو أمور الموت بعصيانه الله، يصير هو علّة موته. فالله صنع الإنسان حرًا وسيدًا.

هذا الرفض لإرجاع سبب الموت إلى الله موجود ايضًا في أعمال القديس إيريناوس أسقف ليون، الذي يشدد على أنّ الشيطان هو علّة الموت. والرسول بولس لا يعلّم في أي مكان إلّا أنّ الموت هو عقاب من الله. فالله لا يعاقب مباشرة بل بطريقة غير مباشرة، بسماحه للإنسان، إذا كانت هذه رغبته، بأن يبتعد عنه وبالتالي يصير خاليًا من الحياة. لقد سمح الله بموت الإنسان، حتّى لا يصير خالدًا في الخطيئة. يقول القديس ثيوفيلوس «هذه بالحقيقة ؟؟ إنه إحسان عظيم من الله منحه للإنسان، وهو ألّا يبقى إلى الأبد في الخطيئة».

هنا تظهر نقطتان مهمتان من المقاطع المقتَبَسَة أعلاه:

١) الله لم يخلق الموت، ٢) موت البارّ لم يُسمَح به بسبب الغضب الإلهي بل بسبب الإشفاق الإلهي فقط.

لا يميل الآباء الشرقيون إلى رؤية الموت وكأنّه عقاب غاضب من الله للبشر. بالأحرى، يتمسّك الآباء الشرقيون بصلاح الله، ويؤمنون بأنّه بصلاحه يمنح الإنسان الإرادة الحرّة وحرية الاختيار. البشر هم مَن يقرر الانفصال عن الله، وهذا هو الموت تعريفًا، إذ يفصل البشر أنفسهم عن مصدر الحياة. لم يُخلَق البشر لا كمخلوقات كاملة ولا مكمّلة. فهم، إذ أُعطوا الإرادة الحرّة وحرية الاختيار حصلوا على إمكانية اختيار الكمال أو عدم (الحصول). إذًا، لا يسقط البشر من حالة من الكمال إلى بعض أشكال الوجود الأقلّ كمالًا. فالله لم يختَر بل البشر اختاروا، ففي النهاية هو مَن منحنا الإرادة الحرّة وحرية الاختيار. يسمح لنا الله بأن نختبر نتائج اختياراتنا. لقد مال الكتاب الآبائيون إلى النظر إلى الموت كنتيجة، وكأن الإله الرحوم لا يسمح للبشر بأن يبقوا بالخطيئة إلى الأبد. لكن نزولنا إلى قابلية الموت جعلنا عبيدًا للموت. من هذا السجن، ينقذنا الله ويبيد السجّان الذي يمسكنا في المُعْتَقَل.

لم يخلقنا الله غير قابلين للسقوط، فهذا يعني أننا بلا إرادة حرّة. لم يخلقنا الله خَطَأَةً، ولا هو فرض علينا أيّ نوع من حالات القدرية التي لا نستطيع ونحن فيها، أن نختار غير الخطيئة. لم يرغب الله لنا بأن نخطئ أو نموت، بل سمح بأن يكون لدينا إمكانية اختيار الاثنين. إذا ما سمحنا للمحبة بأن تكون قائدتنا نصير قادرين على اختيار مشيئة الله. ما أن ابتعد البشر عن الله حتّى دخلت قابلية الموت في الصورة، وصارت قدرة الإنسان على اختيار بشكل مناسب أكثر ضعفًا، وصار للموت والخطيئة تأثير على فكرنا، ما

جعل اختيار الخير أمرًا اصعب على البشر.

يقدّم **الأب رومانيدس** افتراضات أساسية حول أساس الفهم الأرثوذكسي الشرقي للدور الذي يلعبه كلّ من آدم والخطيئة والموت في فهم كلٍ من الخلاص، ومعنى أن يكون الإنسان إنسانًا.

أولًا، الموت هو مشكلة الإنسان، أكثر مما الخطيئة هي مشكلة له. فالموت هو رمز انفصالنا عن الله ونتيجة هذا الانفصال. الموت هو آخر عدو يغلبه الله في مخططه العظيم للخلاص. البُشرَى الحسنة هي إفناء الموت.

ينظر الآباء الروميّون إلى الخلاص من منظار كتابي ويرونه كافتداء من الموت والفساد وشفاء للطبيعة البشرية التي اعتدى عليها الشيطان... . في الغرب يوجد العكس حيث لا يعني الخلاص أولًا وقبل الكلّ، خلاصًا من الموت والفساد، بل من الغضب الإلهي". وهكذا يميل الشرق إلى **ألّا** يرى الخلاص كتخلّص من الغضب الإلهي (وبالتالي تحرر من الله نفسه)، بل بالحري الخلاص هو هبةٌ من محبّة الله الفيّاضة للبشر ليحررهم من عدوهم الحقيقي – **الموت**.

لم يكن السقوط بالنسبة للاهوتيي الكنيسة الأوائل مسألة قانونية بل بالأحرى عجز الإنسان عن بلوغ الكمال والتمجيد (theosis) لأنّه وقع بين يدي مَن له قوة الموت. وهكذا، الخلاص عندهم كان إبادة قوة الشيطان واستعادة الخليقة إلى مصيرها الأصلي عن طريق كمال الإنسان وتألهه. ما خسره البشر في السقوط لم يكن القدرة على اختيار الخير، بل شركتهم مع الله. نحن صرنا منفصلين عن مصدر الحياة. لقد أُعطي للبشر القدرة على اختبار الاتحاد مع الله من خلال خياراتهم. لكن بالابتعاد عن الله، صاروا منفصلين عنه وخاضعين للخطيئة والموت. يسعى الله نحو البشرية بالمعونات ليقود البشر ويعيدهم إلى الطريق الصحيح. لكن، بالمطلق خيار الله هو إبادة الموت نفسه حتّى تعود البشرية إلى الشركة الكاملة معه.

ما يبقى غير مقترب إليه خلال هذه العملية هو الإرادة الحرّة. لا يشنّ الله حربًا ضد الشرّ بالقوّة، ولا بتجريد الخلائق من الحرية بل بأن يحتمل الألم باستمرار بالمحبة والعدل. لم يمل كتّاب المسيحية الشرقيون إلى تحميل البشرية أي نوع من قابلية الخطيئة المقدّرة والتي قد تحدّ حرية إرادتنا. لذا نحن مسؤولون أمام الله عن خياراتنا ولا يمكننا أن نلوم القَدَر أو جيناتنا أو طبيعتنا أو تربيتنا. نحن دائمًا نقوم بخيارات نتحمّل مسؤوليتها، من هنا الصلاة غير المنقطعة في الأرثوذكسية: «يا رب ارحم!».

الخيار الحرّ كان جُزءًا من الكيان البشري منذ البدء، فهو في صلب الطبيعة التي خلقنا الله بها. فالإنسان قد خُلِق في طبيعة وسطية، لا هو بالكليّة قابلًا للموت ولا هو بالكليّة خالد بل هو مؤهّل لكلا الحالين. الوصية تشير إلى أي عمل غير حفظ وصايا الله. بحسب القديس إيريناوس، الرجل والمرأة الأولان لم يكونا كاملين أخلاقيًا منذ البدء، وإلّا لكان هذا يعني أنه تنقصهما الإرادة الحرة، وكل أعمال البشر بالحقيقة لا معنى أخلاقي لها. لهذا، صلاحهما كان ليكون بلا معنى لأنّه من جوهرهما وليس من إرادتهما. كانا ليمتلكا الصلاح أوتوماتيكيًا بدلًا من الاختيار. إذًا جدّانا الأولان أعطيا فرصة التألّه، لكنّهما لم يكونا مخلوقين كاملين ولا حتى بلا خطيئة، لأنّ الإنسان يمكن أن يكون خاطئًا أو بلا خطيئة فقط من خلال الخيارات التي يتّخذها. لقد خلِق البشر بإمكانية أن يكونوا كاملين إذا اختاروا ذلك.

عندما نأخذ بعين الاعتبار حقيقة أن الإنسان خُلِق ليصير كاملًا بالحرية والمحبة، على شكل كمال الله، أي بمحبة الله وقربه بنفس الطريقة الخالية من الأنانية التي يحب الله العالم بها، يصير ظاهرًا أن موت النفس، اي فقدان النعمة الإلهية، وفساد الجسد جعلا هذه الحياة الكاملة مستحيلة. بقوة الموت والشيطان، الخطيئة التي تسود الإنسان تُنْشِئُ الخوف والقلق والغريزة العمومية لحماية الذات أو الحياة *survival*. بسبب الموت، صار على الإنسان أن ينتبه أولًا لضروريات المعيشة لكي يبقى على قيد الحياة. في هذا الصراع لا يمكن تحاشي الاهتمامات الذاتية. وهكذا، لا يستطيع الإنسان ان يحيا بتناغم مع مصيره الأوّل أي المحبة الخالية من الأنانية.

يخسر البشر قدرتهم على أن يكونوا خليقة مَحَبة، مُحِبَّة لله وللأخ، بقدر ما يهتمّون كبشر البقاء على قيد الحياة والحفاظ على النفس. تدفعنا الخطيئة بعيدًا عن الله. تظهِر المسيحية لنا طريق العودة إلى الله، إلى الكينونة بشرًا كاملين، لذا هي تتضمّن المحبة المضحّية بالذات: تقليد المسيح الذي نتممّه في حمل الصليب لاتّباعه.

العطاء أكثر غبطة من الأخذ

«الإنسان الغني ليس هو من له الكثير
بل من يعطي الكثير،
لأن ما يعطيه يبقى ملكه إلى الأبد»

القديس يوحنا الذهبي الفم

عملية الشفاء
من الخوف والانزعاج
للقديس كيرلس الاسكندري

«مَنْ يُحِبُّ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُبْغِضُ نَفْسَهُ فِي هذَا الْعَالَمِ يَحْفَظُهَا إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ.» (يو١٢: ٢٥)

«لا ينبغي أن تعثر من كوني سأتألم، ولا ينبغي أن تشك في الكلمات التي تكلمت بها، بل بالحري يجب أن تتهيأ مقدمًا لهذه الآلام، لأن من يظن أنه من المناسب أن يحرص على حياته هنا، ولا يريد أن يعرضها للأخطار من أجلي، فهو سيضيعها في الزمان الآتي. أما من يعرض حياته للأخطار في هذا العالم الحاضر فهو يزخر لها مكافآت عظيمة، ومن يحتقر حياته في هذا العالم فإنه سيحصل على الحياة التي لا تفنى في الدهر الآتي». فالرب يعني بمحبة النفس التشبث بها بقوة، كما يتضح في حالة أولئك الذين لا يعرّضون جسدهم للأخطار.

« إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَخْدِمُنِي فَلْيَتْبَعْنِي» (يو١٢: ٢٦)

ما يقوله الربُّ هو شيءٌ من هذا القبيل: «إن كنتُ أنا من أجل منفعتكم أعرّض نفسي للموت، ألَا يكون من الجبن من جهتكم أن تنفروا من ٱحتقار حياتكم المؤقتة لأجل التمتع بالفوائد الخاصة بكم، وأن تنفروا من الحصول على الحياة التي لا تفنى عن طريق موت الجسد؟ أن الذين يبغضون حياتهم الخاصة بٱحتمال الألم والذين يعرضونها للموت، إنما هم يحفظونها للبركات الأبدية. وأيضًا، الذين يحيون في النسك يبغضون حياتهم الخاصة، ولا يخضعون للملذات الخاصة بمحبة الجسد. لذلك فما صنعه المسيح بتألُّمه من أجل كل الناس، إنما فعله لكي يكون مثالًا للشجاعة الرجولية، معلما الذين يرغبون في البركات المرجوة، أن يكونوا غيورين في ممارسة هذه الفضيلة. فهو يقول، إنه يلزم لأولئك الذين يريدون أن يتبعوني، أن يظهروا شجاعة رجولية، ويظهروا ٱحتمالًا مثلي، لأنهم بهذا فقط سينالون إكليل النصرة».

«وَحَيْثُ أَكُونُ أَنَا هُنَاكَ أَيْضًا يَكُونُ خَادِمِي»(يو١٢: ٢٦)

وحيث أن رئيس خلاصنا سار ليس في طريق المجد والتنعم، بل في طريق المهانة والضيقات، هكذا ينبغي أن نفعل نحن أيضًا، ولا نشكو، وذلك لكي نصل إلى نفس المكان ونشترك في المجد الإلهي.

وهل سنكون جديرين بأي كرامة، إذا رفضنا أن نحتمل الآلام مثلما ٱحتمل سيِّدنا؟!

لكن ربما بقوله «وَحَيْثُ أَكُونُ أَنَا هُنَاكَ أَيْضًا يَكُونُ خَادِمِي»، يتكلم ليس عن مكان بل عن التقدم في الفضيلة، لأن نفس الخصائص التي ظهر المسيح متميزًا بها يجب على الذين يتبعونه أن يتميزوا بها أيضًا – هذا طبعًا لا يتضمن الامتيازات الإلهية الفائقة على الطبيعة البشرية، لأنه من المستحيل على أي إنسان أن يكون مثل الإله الحقيقي ومن هو بطبيعته الله – بل أن يتمثل بالخصائص التي يمكن لطبيعة الإنسان ان تتصف بها، ليس إسكات البحر وأعمال من هذا القبيل، بل أن يكون متواضعًا ووديعًا ويحتمل الإهانات.

« وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ يَخْدِمُنِي يُكْرِمُهُ الآبُ.»

هنا بالتأكيد توجد مكافأتهم، بأن يكرمهم الآب، لأن تلاميذ المسيح هم شركاء للملكوت المسيح ومجده. ويقول إن الكرامات تُعطى من الآب، رغم أنه هو نفسه مُعطي البركات، فهو يقول إن الطبيعة الإلهية هي التي تعطي كل إنسان حسب عمله، ويرينا أن الآب يريد أن نطيع أوامر الابن، لأن الابن لا يشرّع أي وصية مضادة لوصية الآب. لذلك يجب أن نلاحظ أن من يعمل الأعمال المرضية لله فهو يخدم المسيح، اما من يتبع رغباته الخاصة فهو تابع لنفسه وليس تابعًا لله.

«اَلآنَ نَفْسِي قَدِ اضْطَرَبَتْ. وَمَاذَا أَقُولُ؟ أَيُّهَا الآبُ نَجِّنِي مِنْ هذِهِ السَّاعَةِ؟. وَلكِنْ لأَجْلِ هذَا أَتَيْتُ إِلَى هذِهِ السَّاعَةِ، أَيُّهَا الآبُ مَجِّدِ اسْمَكَ!»

أرجوكم أن تلاحظوا في هذه الكلمات مرة أخرى، كيف أن الطبيعة البشرية تتأثر بسهولة بالأمور المزعجة، ويدخل إليها الخوف، بينما من الناحية الأخرى فإن القوة الإلهية غير المدركة، هي من جميع الوجوه لا تنثني ولا تخاف، وهي ثابتة في الشجاعة التي تليق بها وحدها. فإنَّ ذِكْرَ الموت الذي ورد أثناء الحديث بدأ يزعج يسوع، ولكن قوة الألوهة في الحال أخضعت المعاناة التي أثارها ذكر الموت، وفي لحظة حولت الخوف إلى جرأة لا تقارن.

لأننا يمكن أن نفترض أنه حتى بالنسبة لمخلصنا يسوع المسيح نفسه، ما يخص الطبيعة الإنسانية من مشاعر كانت تتحرك في ٱتجاهين بالضرورة، فبتأثير هذه المشاعر أظهر نفسه بشكل أكيد أنه إنسان مولود من امرأة – ليس في مظهر خادع او مجرد خيال بل بالحري بالطبيعة وبالحق، لأن له كل الخصائص الإنسانية فيما عدا

الخطيئة وحدها. والخوف والانزعاج، رغم أنهما من المشاعر الطبيعية بالنسبة لنا، إلّا أنهما لا يُحسبان ضمن الخطايا. وإضافة إلى ذلك، كانت الخواص البشرية فعالة في المسيح بشكل مربح ومفيد، ليس أنها في حركتها قد سيطرت وٱمتدت إلى مدى أبعد، كما يحدث معنا، لكنها بعد حركتها فإنها تُختصر وتتوقف بواسطة قوة «الكلمة» ، وهكذا فإن الطبيعة الإنسانية قد تحولت في المسيح أولًا إلى حالة أفضل وأكثر ٱقترابًا من الطبيعة الإلهية. وبهذه الطريقة – وليس بغيرها – إجتازت عملية الشفاء من المسيح إلينا نحن أيضًا.

لأن طبيعة الإنسان أعيدت إلى جدة الحياة في المسيح نفسه أولًا كباكورة، وفيه أيضًا قد حصلنا على الأمور التي تفوق الطبيعة، ولهذا السبب فهو يدعى في الكتب المقدسة «آدم الثاني». وكما شعر بالجوع والتعب كإنسان، هكذا أيضًا بنفس الكيفية يشعر بالاضطراب الناتج من العواطف والألم، لأن هذا الشعور هو خاصية إنسانية. ومع ذلك فهو لا يُستثار مثلنا، ولكن فقط بقدر ما يبدأ الإحساس بهذا الاختبار، ثم يعود في الحال مرة أخرى إلى الشجاعة اللائقة بذاته.

لأنه كما أن حالة الشعور بالجوع أو اختبار أي شعور آخر مثل هذا، هو ألم خاص بالجسد، هكذا أيضًا فإن الاضطراب من تصور الأمور المرعبة، هو بالضرورة ألم خاص بالنفس العاقلة، التي بواسطتها هي وحدها يمكن حقًا أن يدخل أي فكر إلى داخلنا من خلال عمليات العقل. لأن المسيح، قَبِلَ أن يكون بالفعل مصلوبًا على الصليب، فإنه يعاني ضيقة الآلام قبل حدوثها، إذ كان يرى بوضوح مسبقًا ما كان سيحدث، وكان يتصور بفكره الأحداث المقبلة. لأننا لا يمكن أن ننسب ألم الرعب للاهوت غير القابل للتألم، كما أنه ليس خاصًا بالجسم، لأنه ٱنفعال خاص بالنفس وليس بالجسم.

ومع ذلك، فإنه بعد أن تحدث عن كونه «إضطرب»، فهو لا ينسحب إلى الصمت بل يحوّل الألم الذي أحسّ به إلى شجاعة بلا أي خوف، وكأنه يقول: «الموت في ذاته هو لا شيء، ولكني سمحت لجسدي أن يشعر بالخوف والرعب، لكي أدخل فيه عنصرًا جديدًا من الشجاعة والقوة. لقد جئت لأعيد الحياة للذين على الأرض، والتي فيها أيضًا أتهيأ للآلام».

وبعد ذلك يقدم طلبه إلى الآب، ويُظهر الشكل الخارجي للصلاة، ليس كأنه ضعيف من جهة الطبيعة الضابطة للكل، بل يصلي من جهة إنسانيته، ناسبًا للطبيعة الإلهية تلك الخصائص التي تفوق البشر، وهو لا يعني بهذا أن الطبيعة الإلهية هي غريبة عن ذاته، فهو يدعو الله أباه الذّاتي، بل ويعرف تمامًا أن القوة الكاملة الجامعة والمجد الفائق هما يخصان الآب والابن معًا. وسواء كان نص الصلاة «مَجِّد ابنك» أو «مَجِّد ٱسمك»، فلا يوجد اختلاف في المعنى. فالمسيح إنما يحتقر الموت وعار الآلام، ويتطلع فقط إلى الأمور التي سيحققها بواسطة آلامه. وهو يرى موت كل البشر وهو يتلاشى نتيجة لموت جسده، عارفًا أن قوة الفساد هي على وشك أن تُباد إلى الأبد، وأن طبيعة الإنسان حينئذ ستتحول إلى جدة الحياة. وكأنه يقول شيئًا من هذا القبيل لله الآب:

«أيها الآب، إن الجسد ينفر من ملاقاة الموت، ويرتعب من ذلك الموت الذي هو ضد الطبيعة بالنسبة له. بل ويبدو أنه أمر لا ينبغي أن يُحتمل، أن الذي هو جالس معك في العرش، ويملك القوة الضابطة للكل، يثور اليهود عليه بشدة إهانتهم الشنيعة، ولكن بما أن هذا هو السبب الذي جئت لأجله، «مَجِّد ابنك»، أي لا تمنعني من ملاقاة الموت، بل ٱمنح ابنك هذا الطلب لأجل خلاص البشر».

ويمكنك أن تعرف أن الإنجيلي في بعض مواضع أخرى أيضًا يتحدث عن الصليب تحت اسم «مجد»، من قوله: «لأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أُعْطِيَ بَعْدُ لأَنَّ يَسُوعَ لَمْ يَكُنْ قَدْ مُجِّدَ بَعْدُ.» (يو ٧). فالإنجيلي يتحدث بحكمه عن كونه «صُلِبَ» بقوله «مُجِّدَ»، أي أن الصليب هو مجده. ففي وقت آلامه احتمل المسيح راضيًا وصابرًا صعوبات كثيرة، وأيضًا ٱجتاز آلامًا كثيرة بإرادته من أجلنا كان يمكنه لو أراد أن يرفض التألم بها، فٱحتماله كل هذه الآلام من أجل منفعة الاخرين هو دليل على حنانه الفائق وعلى مجده الفائق جدًا.

والابن صار ممجدًا أيضًا بطريقة أخرى، فبواسطة انتصاره على الموت ندرك أنه هو الحياة وابن الإله الحي. والآب يتمجد عندما يظهر أن له مثل هذا الابن مولودًا منه، وبنفس الصفات التي له، فهو الصلاح والنور والحياة والغالب الأقوى من الموت، وهو الذي يفعل أي شيء يريده.

وعندما يقول: «مَجِّد ابنك»، فهو يعني هذا: «أعطِ موافقتك لي أن أتألم بحسب رغبتي». فالآب بذل ابنه للموت، ليس بدون تشاور معه، بل بالرضا والقبول لأجل حياة العالم. لذلك فإن موافقة الآب يشار إليها على انها سكب للبركات علينا نحن، فبدلًا من ذكر «**الألم**» تكلم عن «**المجد**».

وهذا يقوله مثالًا لنا، إذ ينبغي أن نصلي ألّا ندخل في تجربة، ولكن إن حدث ودخلنا في تجربة، فينبغي أن نحتمل التجربة بنبل وشجاعة، ولا نهرب منها بل نصلي لكي نخلص. «مَجِّد ٱسمك»، لأنه إذا كان الله يتمجد من خلال الأخطار التي تقابلنا، إذًا فلنحسب كل الأمور الأخرى في مرتبة ثانية بعد هذه الغاية (تمجيد الله).

إضافة إلى ذلك، كما أن إبادة الموت لم تتم بطريقة أخرى غير موت المخلص، هكذا أيضًا الوضع بالنسبة لكل ألم من آلام الجسد. فلو لم يشعر المسيح بالخوف لما أمكن للطبيعة البشرية أن تتحرر من الخوف، ولو لم يكن قد اختبر الحزن لما كان هناك تتحرر من الحزن على الإطلاق، ولو لم يكن قد اضطرب وٱنزعج لما وُجِد أي مهرب من هذه المشاعر. ومن جهة كل ٱنفعال من الانفعالات التي تتعرض لها الطبيعة البشرية، فإنك ستجد المقابل لها بالضبط في المسيح. فٱنفعالات الجسد كانت تتحرك، لا لكي تكون لها السيطرة، كما يحدث في حالتنا نحن، بل لكي حينما تتحرك فإنها يتم إخضاعها كلية بقوة الكلمة الساكن في الجسد، وهكذا تجتاز طبيعة الإنسان تحولًا وتغييرًا نحو الأفضل. ■

التنجيم والأبراج

القديس باسيليوس

لكن بعض الذين يتجاوزون الحدود يفسرون الكلمات الإلهية كأنها تدافع عن التنجيم، ويقولون أن حياتنا تتوقف على حركة الأجسام السماوية، ولهذا يأخذ **المنجمون الكلدان** إشارات لما يحدث لنا من النجوم. ويفهمون الكلمات البسيطة التي في الكتاب المقدس: «وتكون لآيات» (تك ١:١٤)، ليس بمعنى أحوال الجو أو التغيير في الفصول، وإنما يفهمونها وكأنها تتعلق بحظنا ونصيبنا في الحياة.

في الواقع، ماذا يقول المنجمون؟ يقولون أن التداخل والتمازج بين هذه النجوم المتحركة، عندما تعبر جنبًا إلى جنب مع النجوم التي في دائرة البروج، بشكل معيّن، تظهر تنبؤات بمصائر معيّنة، بينما أوضاع أخرى لنفس النجوم تنتج نصيبًا وحظًا معاكسًا في الحياة. ربما لأجل التوضيح، أتكلم بعض الشيء عن هذه الأمور. لن أستخدم كلماتي الخاصة بل سوف أستخدم كلامهم في دحض أفكارهم، مقدمًا الدواء للمصاب بهذا الداء، ومقدمًا للبقية الوقاية ضد الوقوع في الأخطاء نفسها.

إن مخترعي علم التنجيم إذ يرون أن هناك علامات كثيرة تهرب منهم في المدى الواسع من الزمن، حدّدوا القياسات الزمنية بأضيق الحدود، بِمُدَدٍ صغيرة وقصيرة جدًا، قائلين أنه يوجد فرق كبير جدًا بين ميلاد وميلاد، «في لحظة في طرفة عين» – كما يقول الرسول. الشخص الذي يولد في هذه اللحظة الزمنية القصيرة يكون مَلِكًا على عدة مدن وحاكمًا للناس بملء القوة والغنى. أما الشخص الذي يولد في اللحظة التالية يكون شحاذًا وَمُشَرَّدًا، يتنقل من باب إلى باب، متوسلًا معيشته اليومية.

لهذا السبب، بعد تقسيم دائرة البروج إلى اثنى عشر قسمًا، قسَّموا كل قسم من الأثني عشر إلى ثلاثين قسمًا، نظرًا لأن الشمس تعبر كل قسم من هذه الأقسام في ثلاثين يومًا. ثم قاموا بتقسيم كل قسم إلى ستين قسمًا. وقسموا كل واحد من الستين إلى ستين قسمًا. والآن في تحديد ميلاد الطفل، دعونا نرى إذا كان في مقدرتهم الحفاظ على هذا التحديد الدقيق للوقت. يولد الطفل، فتتبين القابلة مباشرة إذا كان ذكرًا أو أنثى، ثم تنتظر بكاءه كعلامة للحياة عند الرضيع. كم من الدقائق تكون قد عبرت حتى الآن في آعتقادك؟ ثم تخبر الممرضة المُنجِّم بميلاد الطفل، كم من الدقائق تكون قد عبرت قبل أن تعلن القابلة ميلاده، ولا سيما إذا كان الذي ينتظر ليسجل الوقت في مكان آخر خارج حجرة السيدات؟ بالتأكيد ذلك الشخص الذي يراقب الأبراج، يجب عليه أن يُسجّل الوقت بدقة شديدة، سواء إن كان بالليل أو النهار. مرة أخرى، كم من الثواني غير المعدودة تكون قد عبرت في هذا الوقت! لأنه يجب العثور على النجم الذي في تصاعد.

{ملحوظة: يوم الولادة يُحدّد البرج بشكل عام، أما الحظ الصاعد فهو البرج الذي يكون في الأفق الشرقي عند ساعة الولادة، وهو أي الأفق ينتقل كل ساعتين من برج الى برج لأن اليوم هو ٢٤ ساعة تقسَّم على ١٢ برجًا}

وليس فقط الموضع بالنسبة للأثني عشر برجًا، بل أيضًا في أي قسم من الأثني عشر، وفي أي قسم من الستين قسمًا كما قلنا، ولضمان الدقة المطلقة في أي قسم من الستين قسمًا لكل من الستين الأخيرة.

علاوة على ذلك، يقولون أن هذا التحديد الدقيق للوقت – **الذي يصعب تحقيقه** – يجب أن يتم بالنسبة لكل كوكب من الكواكب، بحيث يتم تحديد العلاقة بينها وبين النجوم الثابتة، وأي شكل قد تم تشكيله بين بعضهم البعض في لحظة ولادة الطفل. وبالتالي، من المستحيل تحديد الساعة بدقة، وأي تغيير طفيف في الزمن ينتج فشلًا كاملًا. ومن ثم كل أولئك الذين يكرسون أنفسهم لهذا الفن الوهمي، وأولئك الذين يسمعون لهم بدهشة – **كأنهم قادرون على معرفة مستقبلهم وأقدارهم** – هم في وضع **مثير للسخرية والضحك**.

ولكن ما هي النتائج التي يتم الحصول عليها؟

يقولون أن هذا الطفل سوف يكون له شعر أَجْعَد وعيون لامعة، لأنه له علامة برج الحمل، لأن هذا الحيوان له بطريقة ما مثل هذا المظهر، إلَّا أنه أيضًا سوف يكون له مشاعر نبيلة لأن الحمل يمتلك الريادة، وسوف يكون كريمًا في العطاء وقادرًا على الاكتساب، لأن هذا الحيوان يعطي صوفه بدون ألم، وأيضًا بسهولة يكتسي ثانية بالطبيعة. أما الذي يولد تحت برج الثور، يكون شخصًا مسكينًا ومتذللًا، نظرًا لأن الثور يعمل تحت النير. والذي يولد تحت العقرب يكون شخصًا مهاجمًا بسبب تشابهه مع ذلك المخلوق السام. أما الذي يولد تحت تأثير الميزان يكون عادلًا بسبب توازن الموازين.

ماذا يمكن أن يكون أكثر سخافة من هذا؟

الحمل الذي بواسطته يتم تخمين ولادة الإنسان، يمثل الجزء الثاني عشر من السماء، والشمس عندما تكون فيه تلامس علامات الربيع. الميزان والثور أيضًا كل منهما جزء من الاثنى عشر قسمًا في

دائرة البروج. كيف يمكنك إذًا أن تقول أن الأحداث الرئيسية في حياة البشر تبدأ من هنا، وكيف يمكنك تشكيل سمات الشخصية عند الولادة، من حيوانات الأبراج الخاصة بكل شخص؟ فمن يولد تحت الحمل يكون كريمًا، لا لأن هذا القسم من السماوات ينتج مثل هذه النوعية من البشر، بل لأن هذه هي طبيعة الحمل. لماذا تريدنا أن نعتقد بصحة النجوم وتحاول إقناعنا بهذه المأمأة؟ لو كانت السماء تستمد وتمتلك بالفعل مثل هذه الخواص للشخصية من الحيوانات، إذًا هي نفسها أيضًا خاضعة لقوة خارجية، بما أن مقاصدها تعتمد على حيوانات الحقل. هذا هو بالتأكيد يدعو للسخرية، بل أنه لأمر أكثر سخرية أن نحاول تقديم حجج مقنعة في خطابنا من تلك الأشياء التي لا تربطها أي علاقة البتة.

إن كلامهم العاقل هذا يشبه نسيج خيوط العنكبوت، متى اشتبكت فيه بعوضة أو ذبابة أو أي حشرة ضعيفة تُصطاد بسهولة وتُقيَّد، لكن لو اقتربت أي حشرة أقوى، تخترق بسهولة وتمزق النسيج الرقيق وتحمله معها.

ولا يقف بهم الحال عند هذا الحدّ، فهم يعتقدون أنه حتى أعمالنا التي تحكمها إرادتنا سواء للخير أو الشر، ينسبونها أيضًا لتلك الأجسام السماوية. من السخف أن نفنّد مثل هذا الكلام في حالة أخرى، لكن بما أنهم منغمسون للغاية في خطأهم، يجب ألّا نَعْبُرَ عنه في صمت. ولنسألهم أوّلًا إذا كان ما تعطيه النجوم من أشكال لا يتغير مرات عديدة كل اليوم. إن الكواكب بكونها في حركة دائمة، بعضها يجتاز البعض الآخر بسرعة أكبر، بينما أخرى تتحرك ببطء أكثر، نجدها تظهر وتختفي من بعضها البعض مرات عديدة في الساعة الواحدة. وكما يقولون، هناك أهمية كبيرة في ساعة الميلاد، إن كانت النجمة الظاهرة نجمة خيّرة أو شريرة، وهي إذن تحدد مصيره! وفي أغلب الأحيان، لا يلحق المنجمون الدقيقة التي تظهر فيها النجمة الخيّرة، فيسجلون المولود على أنه واقع تحت تأثير روح شريرة – أنا مجبر على استخدام مفرداتهم.

هناك بالتأكيد في مثل هذه الكلمات حماقة شديدة، إلّا أن هناك أيضًا معصية أضخم. إذ أن النجوم الخبيثة تحوّل مسئولية شرها على خالقها. إذا كان الشرّ ناتجًا عن طبيعتها، إذًا فالخالق يكون هو المسبب للشر. أما إذا كانوا أشرارًا بآختيارهم الخاص، تكون مخلوقات قد وهبت إرادة وتمتلك رغبات حرّة ذات سيادة، الشيء الذي يعتبر منتهى الحماقة أن نزعم هذا الخطأ بشأن مخلوقات لا روح لها. وأي نقص في العقل هذا الذي يخصص الشرّ والخير لكل نجم لا بحسب استحقاقه، بل يعتبرون كشيء مسلَّم به أنه نجم خيّر لو كان في مكان معين، أما إذا قابله نجم محدد آخر يصير نفس النجم نجمًا خبيثًا، ومرة أخرى إذا تحرك قليلًا من هذا الوضع يفقد التأثير الشرير. هذا يكفي في هذا الشأن.

لو في كل فترة قصيرة من الوقت، تغيرت النجوم من شكل إلى آخر. وفي هذه التغييرات العديدة يتم إنتاج أنماط الميلاد الملكي مرات كثيرة أثناء اليوم. لماذا إذن لا نرى في كل يوم مولد ملك؟ ولماذا يخلف الابن أباه على العرش بالوراثة؟ بالتأكيد لا يستطيع كل ملك أن يضبط بدقة وقت ميلاد ابنه بحسب الشكل الملكي للنجوم، أليس كذلك؟ أي إنسان تكون له مثل هذه القدرة؟ وكيف «عزيا ولد يوثام ويوثام ولد آحاز وآحاز ولد حزقيا» (مت ١) ولم يصادف أن ولد أي واحد منهم في ساعة ولادة عبد؟

إذًا وبالتالي، لو أن أصل فضائلنا وشرورنا لا يكمن في داخلنا، وإنما هو قدرنا – الذي لا نستطيع تجنبه – الناتج عن وقت ميلادنا، إذن فالمُشَرِّعُون الذين يحدّدون ما يجب أن نفعله وما يجب أن نتجنبه ليست لهم أي فائدة. والقضاة أيضًا، الذين يكرمون الفضيلة ويعاقبون الجريمة ليست لهم أي فائدة.

في الواقع، ألَّا يجب آنذاك أن ينسب الذنب للسارق، أو للقاتل فهو كتب عليه، ومن المستحيل أن يتراجع ويكبح يده حتى إن أراد ذلك، فقد دُفع للشرّ بضرورة حتمية لا يمكن تجنبها.

إن الأشخاص الذين يشجعون مثل هذه الخرافات هم أكثر الناس جنونًا. فالمزارع سوف يجني محصولًا وفيرًا بالرغم من أنه لم يبذر بذوره أو يستخدم منجله. والتاجر سوف يغتني بثراء وافر، سواء أراد أو لم يرد، فقدره سوف يجمع له الثروة.

أما الآمال العظيمة التي تخصنا كمسيحيين، سوف تختفي بالكامل، لأن لا العدالة سوف تُكرَّم ولا الخطية سوف تُدان، لأنه ما من شيء يفعله الإنسان بواسطة إرادته الحرّة. وحيثما يسود القدر والضرورة الحتمية، لا يكون للجدارة والاستحقاق – الشرط الخاص للحكم العادل – أي مكان.

الجدير بالذكر أن القديس باسيليوس يُدرج في قوانينه أن «من يستسلم إلى أنبياء البخت والمنجمين، لأي غرض من الأغراض، تُفرض عليه عقوبة القاتل!» (قانون ٧٢)

«حلول الباراكليت يمنح حرية للنفس ، ليس جزئيًا بل بشكل تام وكامل.فالروح لا يطرد فقط الأهواء، بل يطرد أيضًا كل ملل واهمال وتوانٍ، وكل نسيان ونهم ومحبة اللذة.فهو يُجدد الإنسان روحيًا وجسديًا أيضًا،بحيث يبدو وكأنه مُرتَدٍ لا جسدًا ثقيلًا فاسدًا بل جسدًا روحيًا غير ماديٍّ جسدًا مُستعدًا من الآن لساعة الإنخطاف»

القديس سمعان اللاهوتي الجديد

أَلَمْ تَـرَ أنَّ ٱلْمَرْءَ طُـولَ حَيَـاتِـهِ
مُعنّى بِأَمْـرٍ مَـا يَـزَالُ يُعَـالِجَـهُ
كَـدُودٍ غَـدا لِلْقَـزِّ يَنْسِـجُ دَائِـبًا
وَيَهْلَكَ غَمًّا وَسْطَ مَا هُوَ نَاسِجَهُ

تريدين أن تكوني جميلة

للقديس يوحنا الذهبي الفم

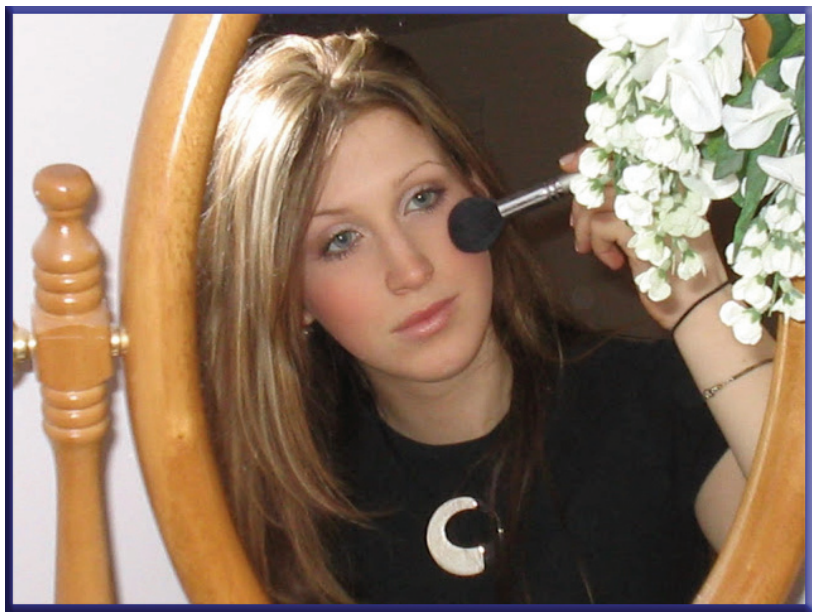

وأنا أيضًا أريد هذا، لكنني أريد الجمال الذي يريده الله، الجمال الذي يشتهيه الملك (مز ٤٤).

مَنْ ترغبين أن يكون حبيبًا لك، الله، أم الناس؟

فلو أنكِ ستكونين جميلة من ناحية ذلك الجمال (الداخلي)، فإن الله سيشتهي جمالك، أما إن كنت جميلة من حيث الزينة الخارجية، بدون هذا الجمال (الداخلي)، فإن الله سُيحول وجهه عنكِ، وسيكون عُشاقك رجالًا دنسين، لأنه لا يوجد رجل صالح يشتهي امرأة متزوجة.

فلتفكرين في هذا من جهة زينتك الخارجية. كذلك فإن هذه الزينة – أي زينه النفس – تجذب الله، بينما الزينة الخارجية تجذب الرجال الدنسين.

أرأيتم كيف أنني أعتني بكنَّ، وأهتم بكنَّ، لكي تَكُنَّ جميلات بالحقّ، وَتَسْعَيْنَ للمجد الحقيقي، لكي يكون حبيبكن الله ربّ الجميع، وليس الرجال الدنيسين؟

وهذه التي يكون الله حبيبها، هل لها من نظير؟

هذه تفرح مع الملائكة.

لأنه لو أن إنسانة ما صارت محبوبة من الملك، ستكون سعيدة الحظ أكثر من الجميع، فمن يستطيع أن يتجاهل هذه التي صارت محبوبة من الله بكل هذا الحب الكبير؟ فليس هناك شيء ذو قيمة، أمام هذا الجمال (الداخلي) حتى لو كان يُضاهي كل المسكونة.

إذًا لنسعَ نحو هذا الجمال، ولنتزين بهذه الزينة، لكي نذهب إلى السموات إلى موضع عرس الروحيين، إلى مكان العرس غير الدنس. لأن الجمال الخارجي، يكتسبه الجميع. وعندما يُحتفظ بالجمال الداخلي جيدًا، فإنه لا يؤثر فيه المرض، ولا القلق، الأمر الذي من المستحيل أن يحدث للجمال الخارجي لأنه لن يستمر عشرين عامًا، بينما ذلك الجمال، يزهر دومًا، ويزدهر بآستمرار، وليس هناك خوف من التغيير، فلا الشيخوخة بقدومها تستطيع أن تظهر فيها غَضا (تجعيدًا)، ولا المرض يجعله يَذبل، ولا الحزن يُفسده، بل هو أسمى من كل هذا. بينما الجمال الجسدي، يختفي بعد حين، وعندما يوجد لا يكون له مُعجبون كثيرون. لأن العقلاء لا يعجبونَ به، والذين يُعجبون به، يكون أعجابهم بدافع الفِسْقِ.

إذًا ينبغي ألَّا نسعى في أثر هذا الجمال الجسدي، بل نسعى في أثر جمال النفس، ولنتمسك به، لكي نذهب إلى العرس بمصابيح مضاءة.

كذلك فإن الرب لم يَعِدْ (بالدخول إلى عرسه السمائي)، للعذارى فقط، بل للنفوس النقية، لأنه إن كان العرس السمائي هو للعذارى فقط، ما كان له أن يرفض العذارى الخمسَ (الجاهلات). إذًا هذا العرس السماوي هو لكل من يحمل نفسًا نقية، ولكل المتحررين بصفة عامة من الاهتمامات الأرضية، لأنها تُفسد النفوس. إذًا إن ظللنا أنقياء، سنذهب إلى هناك، وسنصبح مقبولين (أمام الله).

يقول الرسول بولس «خَطَبْتُكُمْ لِرَجُل وَاحِدٍ، لأُقَدِّمَ عَذْرَاءَ عَفِيفَةً لِلْمَسِيحِ.»[١]. وهذا لم يقله للعذارى، بل قاله لكل ملء الكنيسة. كذلك فإن نفس المرأة إذا ما كانت نقيّة، فهي عذراء، حتى وإن كان لها زوجٌ، فهي عذراء ومستحقة للإعجاب، لأنها تحمل العذرية الحقيقية، لأن العذرية هي التابع والظل للنفس النقية، والنفس النقية هي العذراء الحقيقية فلْنَزِد من هذه النقاوة، هكذا سنستطيع أن نرى العريس (السماوي)، بوجهه المفرح، ونأتي إلى محفل العريس بمصابيح، فإننا نكتسب هذا الزيت، الذي يجعل المصابيح منيرة ومُبهجة، وهذا الزيت هو محبة الناس، فإن أعطينا جزءًا من ممتلكاتنا للآخرين، إن جعلناها رحمة، عندئذ فإن الله سيقبلنا، ولن نقول في ذلك الزمن الآتي «أَعطِينَا مِن زَيتِكُنَّ، فإِنَّ مَصابِيحَنا تَنطَفِئ»[٢]. ولن نترجى الآخرين، ولن نُعْزَل أو نُسْتَعْبَد مع الذين ذهبوا إلي باعة الزيت، ولن نسمع ذلك الصوت المخيف والمرعب «لا أعرفكم»[٣]، ونحن نطرق الباب، بل سيعترف بنا، وسندخل مع العريس، وبعدما ستدخل إلى المحفل الروحي، سنتمتع بخيرات لا حَصْرَ لها. لأنه إن كان مكان العرس هنا (في الحياة الحاضرة) مشرقًا إلى هذا الحد، وإن كانت غرفة العرس مشرقة وبهية إلى هذا الحد الذي معه لا يشبع المرء حين ينظر إليها، فكم بالأكثر يكون الحال هناك (في الحياة الأبدية)؟ غرفة

العرس، هي السماء، وأكثر جمالًا من السماء بكثير، هو مكان العرس، ونحن سندخل إلى هذا العرس السمائي. فإن كان مكان العرس جميلًا إلى هذا الحد، فكيف يكون العريس يا تُرى ؟

وماذا أقول، بعدما تنزعَن عنكنَ الحلي الذهبية، لكي تعطوها لأولئك الذين يحتاجون لها؟ لأنه إن آحتاج الأمر أن تصيروا عبيدًا بعد أن كنتم أحرارًا، لكي تستطيعوا أن تكونوا مع ذلك العريس، وأن تتمتعوا بجماله، أن تنظروا فقط إلى وجهه، ألا ينبغي أن تقبلوا كل شيء بِرِضَى؟ إنَّنا إذا رغبنا في أن ننظر الملك الأرضي فكثيرًا ما نُلقي كل ما في أيدينا (من ذهب)، بالرغم من أنها ضرورية، أما من أجل الملك والعريس، حيث يوجد الاثنان (في شخص المسيح) في السماء، فإننا ليس فقط سنكون مستحقين أن نراه، بل أن نسير أمامه بمصابيح، ونكون إلى جواره، فهل بعد كل هذا يصح أن نتقاعس عن عمل أي شيء ينبغي علينا عمله؟

من أجل هذا، لنشتَهِ تلك الخيرات السماوية، لنشتَهِ ذاك العريس (السماوي)، لنكن عذارى من حيث مفهوم العذرية الحقيقية، لأن الرب يطلب عذرية النفس. لندخل بهذه العذرية إلى السماء، بدون وسخ أو بقع أو أي شئ آخر من هذه الأدناس، لكي ننال الخيرات التي وعدنا بها الله، والتي أرجو أن ننالها جميعًا بنعمة الله ومحبته للبشر.

١)٢كو١١:٢. ٢) مت ٢٥:٨. ٣) مت ٢٥:١٢.

ظهر في أديرة برنوج (نيتريا) الرهبانية شخص اسمه بامبو (بموا). كان الثاني (في المقام) بعد **آبا أنطونيوس**. كان الأخوة يدعونه أليثينوس، أي «الصادق»، لكمال فضائله التي شهد لها جميع الأخوة. أنا نفسي لم أقابله (باللّيديوس المؤرّخ) عندما كنتُ هناك، ولكن الأخوة تحدثوا معي عنه، قائلين أن هذا الرجل لم يقل أي كذبة ولا أخطأ بلسانه قط من اليوم الذي أصبح فيه راهبًا، فلم يَخرج من فمه قط حلفٌ أو شتيمةٌ أو لعنةٌ، ولا تكلم قط بكلمة لا لزوم لها.

عندما جاء إلى الإخوة في الدير ذهب ووجد شيخًا، وطلب منه أن يعلّمه المزامير، لأنه كان أُميًّا، فبدأ الشيخ يعلّمه أن يحفظ المزمور **٣٨**، ولما حفظ الآية الأولى القائلة: «قلتُ أتحفّظ لسبيلي من الخطأ بلساني»، لم ينتظر حتى يسمع الآية التالية وقال: «تكفيني هذه الآية حتى أنفّذها عمليًا». وعندما ذهب **الأب بامبو** إلى قلايته، قضى ثماني سنوات واضعًا القول الذي تعلمه موضع التنفيذ. ولم يُقْدِم على الاتصال بأي أحد من الناس، قائلًا: «إذا لم اتقن أولًا السيطرة على لساني وترويضه، فلن أُقدم على الاختلاط مع أي شخص خشية أن أقع في الخطيئة بلساني». بعد ثماني سنوات، ذهب لزيارة الشيخ الذي كان قد علمه بداية المزمور. فقال له الشيخ: «لماذا لم نَرك طول هذه المدة؟ لماذا لم تأت لتتعلم المزمور؟».

قال له الأب بامبو: «بما أنني لم أتعلم بعد الآية الأولى لم أرجع لك لكي أتعلم الآية الثانية لأن الله لم يعطني حتى الآن النعمة لتعلّمها. وحتى لا يبدو الأمر وكأني احتقرك بتأخري، جئت لكي أزورك، يا أبي. وعندما اتعلم الآية الأولى، سوف آتي لكي أراك مرة أخرى».

فعاد **بامبو** إلى قلايته ومكث هناك عشر سنوات أخرى دون الاختلاط بالناس (لاتقان حفظ اللسان). وبعد وقتٍ طويلٍ سأله أحد أحبائه إن كان قد أحكم تنفيذ هذه الآية فأجاب: «إنني بالكاد نجحتُ في تنفيذها بعد تسع عشرة سنة».

وفي ساعة آنتقاله (عام ٣٧٣م)، قال له الآباء الواقفون بجواره، **الأب مكاريوس القس، الأب آمون، والآب ثيودور**، وعدد كبير من قادة الرهبان: « قُل لنا يا أبانا كلمة منفعة نحيا بها ». فقال: **«منذ أن أتيتُ إلى هذا المكان من البرية وبنيتُ قلايتي وسكنتُ هنا، لا أذكر أنني ندمت على أي كلمة قلتها، ولا على أي كلمة لم أقلها، فقد تعلمت ألَّا اتكلم إلَّا بعد أن أجتر الكلمة أولًا، وأتحقق إذا كانت كلمة موت أو كلمة حياة. ولم اسمح لنفسي بأن أفكر أنني قضيت يوما واحدًا راهبًا. حتى الآن وأنا على وشك المغادرة، لا أستطيع القول أنني قضيت يومًا واحدًا في خدمة الله، بل أنا ألوم نفسي لأنني لم أفعل مشيئة الله.»**

وقد شهد عنه الأب آمون والأب ثيودور والأب يعقوب قائلين: «لقد كان أعظم من كثيرين في أنه كان مدقِّقًا في كلامه، وإذا سُئل أن يفسِّر شيئًا في الكتاب المقدس أو أي قول روحي ما كان يجيب في الحال بل كان يقول إنه لا يعرف بعد معنى هذا القول، امهلوني يومين أو ثلاثة لكي أجتر القول ثم أعطيكم الإجابة. وكان عادة يمكث يومين أو ثلاثة أو الاسبوع بأكمله دون أن يعطي إجابة قائلًا: « إن كنت لا أعلم أي نوع من الثمر سوف تنتجه الكلمة الخارجة مني، إن كانت ثمرة موت أو ثمرة حياة، فلن اتكلم». لذلك، كان الأخوة يتلقون الكلام الذي يقوله كما لو أنه خارج من فم الله مباشرة.»

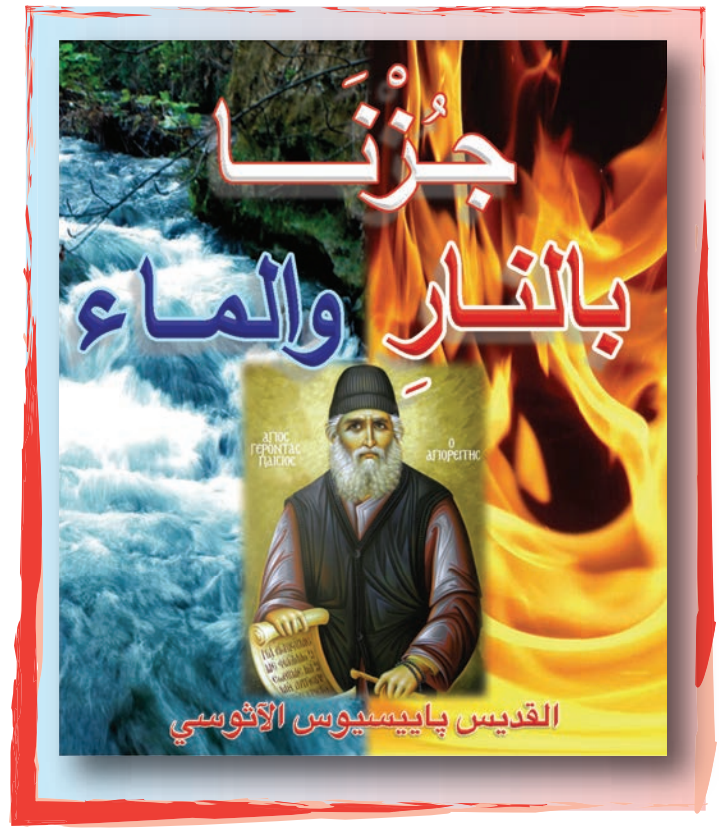

الباب الثالث

الإعاقَةُ بركَةٌ من الله

✝ الأمراض العقلية ✝

✝ يارووندا،عندما يكون أحد الأشخاص تعيسًا ويائسًا، فماذا عليه أن يعمل ليتغلّب على كآبته ؟.

✝ يحتاج إلى التعزية الإلهيّة.

✝ وكيف يمكنه الحصول عليها ؟.

✝ بالتعلّق بالمسيح، الذي سيَهَبها له. نحنُ نخلطُ أحيانًا بين التفاني والغرور. مُعظم المصابين بانفصام الشخصيّة يملكون نفوسًا حسّاسةً. وغالبًا ما تقَعُ بعض الحوادث السخيفة أو بعض المواقف التي يَعجزون عن مواجهتها، فيتعذّبون كثيرًا. قد يقتلُ أحدهم إنسانًا آخر ويتابع حياته وكأنّ شيئًا لم يَكُن، أمّا الشخص الحسّاس فقد يدوسُ بالصدفة على رِجْلِ هِرَةٍ صغيرةٍ، فيتعذّب لدرجةٍ يعجزُ فيها عن النوم بسببِ قَلَقِهِ ممّا جرى. وإذا لَمْ يَنَمْ لليلتيْن أو ثلاث، فسيهرعُ بالنهاية إلى الطبيب.

✝ يارووندا،يُخبرنا علماء النّفس أنّ مُساعدة الإنسان المريض عقليًا تستوجب اكتشاف سَبَب مرضه ؟.

✝ نعم ، لكن فقط إذا كان هناك سببٌ. ففي بعض الحالاتِ، حيثُ تكون الأمورُ طبيعيةً وفيزيولوجيةً، أي بمعنى آخر، مبرّرة، يدخلُ الناسُ في حلقةٍ مُفرغةٍ من التفكير الذي سيقودهم إلى حالةٍ من الارتباك العقليّ. إذ سيأخذون بالتساؤلِ: »قد يكون لديّ حالة وراثيةٌ؟ مِنَ المحتمل ألّا أكون صحيحًا«.

أعرف شابًا تابع دراسته الجامعيّة، وكان يقرأ يوميًّا حوالي إحدى عشرةساعةً ونال منحة دراسيّة. وفي نفس الوقت كان يساعدُ عائلته لأنَّ والده كان مريضًا. وبالنتيجة، أصابه التعب والإرهاق، لكونه حسّاسًا، وقَدْ عَانَى من صداع دائم وبالجهد أخذ شهادته. فيما بعد بدأ يفكّر لإمكانية إصابته بحالٍ صحيّةٍ وراثيّة. لكن، أيّة حالةٍ وراثيّة؟ فالقراءةُ لمدّة إحدى عشرة ساعة باليوم سببٌ كافٍ ليُصابَ بالإرهاق، هذا دونَ ذِكر نفسيّته الحسّاسة، وما كانَ يترتَّبُ عليه مِن تقديم المُساعدة لأَهله.

✝ يارووندا،بدأت إشارات اليأس تظهر لدى طفلٍ بعد انتحار أبيه. هل يمكن أن تكون حالته وراثية ؟.

✝ ليس بالضرورة أن يكون السبب وراثيًّا ، فهناك احتمالٌ بأن يكون الطفلُ قد تعرَّض لصدمةٍ عاطفيّة. كما أنَّنَا لا نعرف شيئًا عن وضع الأبِ، وعن الأسباب التي دَفعته للانتحار. لكن، مِنَ المؤكَّد أنَّه عندما يكون الأبُ متكتِّمًا ومنغلقًا على ذاته، فلا بدَّ من تقديم المساعدة لابنه. وقد يمرض الصبيُّ إذا بَدأ هوَ أيضًا بالانطواء على نفسهِ، خوفًا مِن أن يَرِثَ صفات أبيه.

يسمح الله دائمًا بأن يُجرَّب الإنسان تبعًا لقدرته على الاحتمالِ، لكن عندما يُضاف لذلك توبيخُ الآخرين له، فستنوءُ النفس تحت ثِقَلِ هذا العبءِ الإضافي، وتتعذّب. يدفعُ الناس العاقلون المجانين إلى المزيد من الجنون. يمكن ضبط الجنون والسيطرة عليه في البداية. ففي الماضي، لم توجَدْ مصحّات عقلية تعتني بالمجانين، لذلك غالبًا ما كانوا يُقيّدون بالسلاسل ويُحبَسون في غرفةٍ .

بقيت إحدى النساء، وكانوا ينادونها بريسترو، محبوسة بالمنزل. وقد كان الأولاد يسخرون منها ويضربونها بالحجارة. فيَتملّكها الغضبُ وتبدأ بالصراخ عليهم ورميهم بكلّ ما تقع عليه يدها. لكِنَّكِ سَترينَ بريسترو هذه تفوقُ الكثيرَ من النساءِ العاقلاتِ والمتعلّماتِ في الحياة الأخرى.

إن إكليل شهادة الدم معقود من ورود حمر، وإكليل شهادة الخدمة من زنبق أبيض، لهذا جاء في النشيد: حبيبي أبيض وأحمر، فيعطى المنتصر في السلم جزاء المنتصر في المعركة.

القديس جيروم

رسالة ١٠٨

العهد القديم في الكتاب المقدس (١٠٦)

❁ اليهودية تحت حُكم روما ❁

هيرودس الكبير(٤-٣٧ ق.م.):

مَلَكَ هيرودس على اليهوديّة، ولكي يوطّد مركزه تزوّج من **مريمنة أخت أرسطوبولس الثالث** وهما اللذان بقيا مع هيركانس الشيخ المسّن من الأسرة المكابيّة، وبذلك ربط هيرودس نفسه بأسرة الحشمونيين، وكان هيرودس ملكًا شهوانيًّا شنيعًا سيّء الظن إلى حدّ الجنون وعديم الضمير. وتهاوت ضحاياه فريسة تلو الفريسة، أمّا شهوته لسفك الدماء وغيرته المميتة فبدأت بحماته ثمّ أخي زوجته وابنيهِ حتى مرينة الجميلة، وبذلك انقضَى عهد المكابيين بعد أن ظلّوا في الحُكم مائة وثلاثين سنة منذ أن استولى يهوذا المكابي على أورشليم. ومع رذائل هيرودس ووسائله الدنيئة لتحقيق أغراضه بالإضافة إلى أنّه كان يتّصف بعبقرية سياسية شريرة، فقد بدأ مواليًا لأنطونيوس لكنه حوّل ولاءه إلى أوكتافيوس، وقدّم له المساعدة ضد أنطونيوس وحليفته كليوبترا، فكان في الجانب الرابح، وحينما استقرّ له الحال أعاد بناء أورشليم، وأعاد بناء الهيكل وجعله أوسَع بكثير من هيكل سليمان وأغنَى بكثير من هيكل زروبابل، وذلك لكي يرضي اليهود، واستمال عطف أوغسطس وبنَى المدينة القديمة في السامرة وسمّاها سبسطية، وأسّس مدينة جديدة على الساحل سماها قيصرية، وجعلها العاصمة السياسية، وفي أورشليم بنى قلعة أنطونيا التي كانت تشرف على الهيكل وأقامت بها فرقة حرس روماني، وفي برنامج إنشائي أكسَبَ المملكة أُبّهَةً خارجيّة بكثرة المباني ذات الطراز الإغريقي الروماني، وأكثرَ من تشييد المسارح والملاعب لممارسة الألعاب الأولومبيّة على شرف أغسطس، وأدخَلَ أنواع السباق في أورشليم، وبسبب تحرّره وميوله إلى روما سبّب كراهية اليهود له، وإن كان قد حَكَمَ ثماني وعشرين سنة ملكًا بلا منازع، لكن اليهود لم يغفروا له فتكه ببقية العائلة الحشمونيّة وأصله الأدومي، وظلّ هيرودس مواليًا لقيصر ، ولعبت عائلة هيرودس فيما بعد الدور القيادي في التاريخ اليهودي في قرنٍ هامٍ خطير شَاهَدَ ميلاد المسيح وتأسيس الكنيسة.

❁ الفترة بين العهدين ❁
والتغييرات في الحياة والعوائد اليهودية

كانت هناك تغييرات شاهدة على فترة ما بين العهدين ساهمت كثيرًا في تكوين المجتمع اليهودي في السنوات السابقة لميلاد السيّد المسيح وبداية العهد الجديد، وقد لعبت هذه التغيرات دورًا مؤثّرًا في الشخصية اليهودية التي لازمت انتشار الكنيسة، ويمكن تلخيصها في الأمور التالية:

أولًا: العقيدة: فيما سبقَ السبي، كان هناك دائمًا ميل في الشعب إلى تقليد عبادة الأوثان، لكن أخيرًا انتابتهم كراهية شديدة لكل ما يشتم منه رائحة الوثنية، وفي السبي دون التقليد الشفاهي في المشناه والتلمود، وكان الكتبة لهم تفاسيرهم التي أولوها اهتمامًا مبالغًا فيه حتى أنه تحوّل إلى ثِقَل على كاهل الشعب، ممّا استوجب لوم السيّد المسيح لهم (مت ١٥:٣). وفي السبي نشأ المجمع اليهودي نتيجة لعدم وجود الهيكل وخدماته، وكان يكفي أن يكون هناك عشرة رجال ليكون هناك مجمع، وانتشرت مئات المجامع في المدن العظيمة المنتشرة في الأقطار المختلفة، وكانت الخدمات تشمل قراءات يومية في ساعات تقدمة الذبيحة اليومية وقراءة يوم السبت وتُختَم بالبَرَكة، وظهرت بالفترة المكابية كتابات دينية متعدّدة من تاريخ وصلوات وأهمها الأسفار القانوية الثانية Deuterocanonical Books Apocrypha والتي لها الفضل في ملء الثغرة بين العهدين، وأعطتنا شرحًا عن هذه الظروف التي عاشها اليهود، وعن سمات تلك الفترة، كما بدأت حركة نَشِطة في الترجمات المختلفة سواء الكلدانية أو الآرامية أو اليونانية، وكانت أهم الترجمات اليونانية الترجمة السبعينيّة، وساعدت على دراسة الشريعة وحفظها بين اليهود في الشتات وهي ما تُسمَّى الترجوم وتعني الترجمات المختلفة عن العبرانية.

ثانيًا: رئاسة الكهنوت: في أثناء حُكم السلوقيين ظَلَّ رؤساء الكهنة لفترة يتمّمون واجباتهم بأمانة، وكان الحبر الأعظم تقيًّا مخلصًا وغيورًا حتى تحوّلت خدمة الكهنوت إلى وظيفة يأخذها أعلى مُزايِد، ومن يكتسب رِضَى الحزب السياسي اليوناني بين اليهود، فاشتراها **ياسون** ثم سلبها منه **منيلاوس الخائن** لأنه دفع أكثر من ياسون وهكذا انحطّت خدمتهم، وقد أصبح رئيس الكهنة زعيمًا سياسيًّا، وتزايدت سلطته بعد أن أخذت أركان المملكة الفارسية تتداعى وتزول هيبتها، ففي زمن البطالسة اعتبر رئيس الكهنة الممثل المحلّي للسلطة الحاكمة مادامت الجزية كانت تُقَدَّم في حينها.

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

فتمتمت أندروماك:

– لا تتعب نفسك يا صاحب السيادة. كم نحلت! لا بدّ انك تتّبع صيامًا قاسيًا ... فان عظام وجهك قد أصبحت بارزة!

– إنها تجربة، ولن تدوم طويلًا. صحيح أنها المرة الأولى في حياتي التي أواجه فيها تجربة بهذه القسوة، ولكن لتتم مشيئة الرب: إنها وحدها التي يجب أن تُسَيِّر حياتنا بكاملها: فكل ما يسمح به الرب جيِّدٌ. انه وحده من يملك الحكمة.

– ولكن كيف تكون مُعدمًا إلى هذه الدرجة، ولا تحصل على أي عون، أعني من قِبَل الكنيسة ؟.

فأجاب نكتاريوس:

إنّ فخًا من العدو الشرير. فهو يحاول أن يجعلني أفقد صبري، ويجبرني على أن أغضب.

كانت أندروماك تسمعه يتكلّم ويبوح بأسراره للمرة الأولى. وكانت تصيخ السمع جيّدًا. فتابع:

– إلّا أنه من الواجب أن نعطي مجدًا لله. يا سيّدتي العزيزة، إن المسيح مخلصنا الكثير الوداعة، والأقنوم الثاني من الثالوث القدوس، هو الكليّ القدرة، من عاداته أن يختبيء، وهذا بسبب تواضعه العظيم، رغم انه ملك الملوك. ويبدو متواضعًا ووديعًا على الدوام. ولا يظهر في عظمته التي أخذها من والده، كقاهر الموت، للذين ينادونه. ومع ذلك فهو يظهر لجميع الذين يبحثون عنه بقلبٍ طاهر ولجميع الذين ينادونه بحرارة. كَوْنِي على ثقة من ذلك.

فشَحَبَ لون أندروماك ورسمت إشارة الصليب، فتابع نكتاريوس:

– انه يظهر، ويفيض عليك بتعزية لا توصف، وبعذوبة كبيرة، ونور، وأزلية، وسعادة، سعادة لا يمكن أن ينزعها منك أحد ...

فتمتمت أندروماك من جديد:

– اسمح لي يا صاحب السيادة، أنا الخاطئة، بان أقدّم لك خدمة متواضعة ... صحنًا من الحساء.

فنظر نكتاريوس إلى الطاولة وعندها رأى الصينية، فاستدار نحو المصلوب وتمتم بعض الكلمات بانسحاق قلب. فهل كان ذلك شكرًا لله ؟

ثم قال لها بصوته العذب، الخافت بعض الشيء:

– أشكرك، لقد أتيتِ في الوقت المناسب. ليكن الله معك في كل عمل تقومين به، ولا يحرم بيتك من النِعَم الأرضيّة ابدًا. أرجو أن أنجح في تسديد بدلات الإيجار بسرعة. يؤلمني أني اعجز عن دفع المستحق لك. أرجو أن يستقبلني الأسقف اليوم ... أشكرك من جديد.

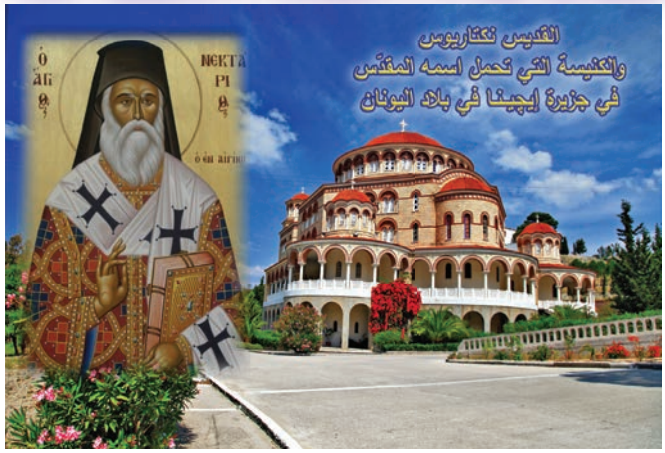

وأحسَّت أندروماك بتأثّر شديد، وأخرجت منديلها ... كانت تشعر بان هناك شيئًا يحدث في منزلها: شيء مأساوي وعظيم. وكأنَّ قوّة غريبة، غير منظورة تنزع من قلبها شيئًا فشيئًا التفكير في مصلحتها المادية، وتضع مكانه حُب الخدمة، في هذا الوقت العصيب، وأمام رَجُل بهذه القداسة. إنّها المحبَّة تُزهِر في قلبها.

فقالت:

– لا تُفَكِّر في الإيجار بعد الآن يا صاحب السيادة.

كان صوتها يرتجف وعيناها تلتمعان وهي تتابع:

– نعم أنا أرملة، ووحيدة، لكني أستطيع تدبير خبزي اليومي ...

فرفع نكتاريوس يده وباركها، وتمتم:

– أنتِ كالواحة في الصحراء. لِتَتَشَفَّعْ بِكِ سيِّدتنا والدة الإله.

البخيل ينشّف أكياس الشاي

قَـــوْمٌ إِذَا أَكَـــلُوا أَخْفَوْا كَـلَامَـهُـمْ

وَٱسْتَوْثَـقُوا مِـنْ رِتَـاجِ ٱلْبَابِ وَٱلدَّارِ

لا يَقْبِسُ ٱلْجَارُ مِنْهُمْ فَضْلَ نَارِهِمْ

وَلا يَكُفُّوا يَـدًا عَنْ حُـرْمَةِ ٱلْجَـــارِ

الأرثوذكسيّة (٦٥)
قانون إيمان لكل العصور

الرسل الأطهار

قاعدة الأيمان

نؤمن بالرّوح القدس

«وبالرّوح القدس الربّ المحيي، المنبثق من الآب، الذي هو مع الآب والإبن، مسجودٌ له وممجّد الناطق بالأنبياء».

عندما ذهب القديس بولس الرسول إلى أثينا ليُبَشِّر بالمسيح المصلوب والمُقام، فبينما هو مُجتاز وهو ينظر إلى المدينة المملوءة أصنامًا، فإنّه وَجَدَ مذبحًا بكتابات مُميّزة: «**لإله مجهول**».

وفي أثناء بشارته لليونانيّين، فإنّ القدّيس بولس استخدم بمهارة الاسم: «لإله مجهول» على يسوع وقال:«فَالَّذِي تَتَّقُونَهُ وَأَنْتُمْ تَجْهَلُونَهُ، هذَا أَنَا أُنَادِي لَكُمْ بِهِ.» (أع١٧: ٢٣). ربّما نُطلق على الروح القُدس في هذه الأيام «**لإله مجهول**». عندما نتكلّم عن الله الآب، فنحنُ نعمل هذا بكل سهولة ونقول: «أبانا الذي في السموات». وعندما نتكلّم عن الله الابن، فبطريقة حميمة وشخصيّة أليفة نقول: «يا ربِّي يسوع المسيح سامحني .. ارحمني.. أَعِنِّي..». ولكن إن سألنا أحدٌ عمَّا نعرفه بخصوص الروح القُدس، ربّما تكون الإجابة من أشخاص كثيرين هي نفس الإجابة التي تلقاها بولس من مسيحيِّي أفسس عندما سألهم: «هَلْ قَبِلْتُمُ الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمَّا آمَنْتُمْ؟» قَالُوا لَهُ: «وَلاَ سَمِعْنَا أَنَّهُ يُوجَدُ الرُّوحُ الْقُدُسُ» (أع١٩: ٢).

حدَثَ منذ عدّة سنوات أن أدّى رجلٌ امتحانًا لتوظيفه كَ «موزِّع بريد»، وكان من ضمن الأسئلة التي وُجِّهَت إليه: «كم تبعد الشمس عن الأرض؟» فأجاب الرجُل بذكاءٍ شديد: «إنّها على مسافة بعيدة جدًّا بدرجة لا تؤثّر على توصيلي للبوستة إلى الشارع الرئيسي».

للأسف يوجد أشخاصٌ كثيرون يشعرون بنفس الطريقة بخصوص الروح القُدس، فيشعرون أنّه بعيدٌ جدًّا بدرجةٍ تجعل أمره لا يعنيهم بخصوص احتياجاتهم واهتماماتهم، فحضوره أو غيابه لا يُفرِق في شيء.

هؤلاء مخطئون، ومُخطئون خطأً مُميتًا، تمامًا مثل الإجابة بخصوص بُعد الشمس عن الأرض. إنّ المسافة بين الشمس والأرض ليست غيْر متعلّقة بتوصيل البريد إلى الشارع الرئيسي، لأنه إن قَرُبَت الشمس من الأرض أكثر ممَّا هي عليه الآن، فإنّ حرارتها سوف تكون مُحرقة ولن يقدر أحد أن يعيش على الأرض، ولنْ يصل البريد إلى الشارع الرئيسي! وإنْ بَعُدَت الشمس عن الأرض عمَّا هي عليه الآن، فإنّ كُل شيء، حتَّى سكان الشارع الرئيسي، سوفَ يبلغون إلى درجة البرودة، سوفَ يتجمَّدون، لن يتمكّن أحد من الحياة!

هكذا الروح القدس مثل الشمس، ليس هو غير متعلِّق بالحياة، ولكن كما سوف نَرى، إنّه «نَفَسُ» حياة أرواحنا.

من هو الروح القُدس؟

الروح القُدس هو الله، هو الأقنوم الثالث في أقانيم الألوهة، ولكي نُعْطَى الروح القُدس، فإنّ يسوع المسيح، الأقنوم الثاني في الألوهة جاء على الأرض وتأنَّس، وبعد أربعين يومًا لقيامته صَعِدَ المسيح إلى السماء وعادَ إلى الآب ، ولكنَّه إنَّما عادَ إلى الآب لكي يُرسل لنا الروح القُدُس في ملئه: «لكِنْ لأَنِّي قُلْتُ لَكُمْ هذَا قَدْ مَلأَ الْحُزْنُ قُلُوبَكُمْ. لكِنِّي أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ: إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي» (يو١٦: ٦-٧).

يقول يسوع لتلاميذه إنّه خيرٌ لهم أن ينطلق، لأنّه عندئذ فقط سوف يأتيهم الروح المعزّي. إنّ مجيء الروح القُدس هو الهدف الأساسي الذي بسببه جاء المسيح على الأرض. يقول **القدِّيس أثناسيوس الكبير**: «المسيح أخذ جسدًا لنأخذ نحن الروح القدس». وفي معنى واحد، إنّ هدف التجسّد كلّه هو إرسال الروح القدس يوم الخمسين، لأنّه بالفداء والاغتسال والتطهير بدم المسيح نَصير مُؤهّلين لننال الروح القُدس. انظر! ها هو يوم الخمسين ينزل ويملأ الكنيسة بحضوره، وها قد أُنجِز القصد الذي جاء المسيح لأجله. إنّ الله الروح القدس يقيم الآن فينا إلى نهاية الزمن، وإن كان المسيح هو رأس الكنيسة التي هي جسده، فإنّ الروح القُدس هو الذي يُحيي ويملأه بحضوره.

عُـبٌّ: العبُّ هو الحضن ، وقال الرب لموسي : «أدخل يدك في عبك ، فأدخل يده في عبه ، ثم أخرجها ، وإذا يده برصاء مثل الثلج . ثم قال له رد يدك إلى عبك ، فرد يده إلى عبه ، ثم أخرجها من عبه وإذا هي قد عادت مثل جسده » (خر ٤ : ٦ و ٧) . والكلمة في العبرية هي «حِيك – חֵיק» ، وقد ترجمت في غالبية الأمكنة إلى «حضن» (انظر تك ١٦ : ٥ ، عد ١١ : ١٢ ، تث ١٣ : ٦ ... إلخ).

العظات التماني عشرة لطالبي العماد

لأبينا القديس كيرللس رئيس أساقفة أورشليم

العظة الثالثة عشر في العماد

«... وَصُلِبَ وَقُبِرَ»

«ربّ، من الذي آمن بكلامنا؟ ولمن ظهرت يدُ الربّ؟ ... كنعجة سيق الى الذبح وحمل صامت بين يدي من يجزّه هكذا فتح فاه. في ذلّه أُنكِر عليه حقّه. تُرى من يصف ذريته؟ لأنّ حياته أُزيلت عن الأرض ...» (أشعيا ٥٣: ١-٨).

العظة الرابعةَ عشرةَ

«... وقام من بين الأموات في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين الآب» – تتمة

٢٢– شهود بَشَر وشهادات ماديّة:

كثيرون هم شهود قيامة المخلّص: الليل وضوء القمر التام (لأنها كانت ليلة ١٦ نيسان)، صخرة القبر الذي حواه، والحجر الذي خُتِم أمام اليهود، لأنه رأى الربّ، الحجر الذي دُحرج عندئذ (متى ٢٨: ٢) يشهد بالقيامة، وهو لا يزال قائمًا هنا حتى الآن. ملائكة الله الذين كانوا حاضرين، شهدوا لقيامة الابن الوحيد (لو٢٤: ٤)، بطرس ويوحنا، توما وباقي الرُّسل الذين أسرع بعضهم إلى القبر ورأوا أنَّ اللفائف – التي لُفَّ بها جسده للدفن – كانت مطروحة هناك بعد القيامة (يو٢٠: ٦)، وآخرون لمسوا يديه ورجليه ورأوا آثار المسامير (لو٢٤: ٣٩، يو٢٠: ٢٧) وتلقّوا جميعًا النفخة الخلاصية (يو ٢٠: ٢٢-٢٣). النساء اللواتي سمعن الزلزال العظيم، ورأينَ الملاك أبيض كالثلج، وأخذن بقدمي يسوع (متى ٢٨: ٢-٩)، واللفائف التي كان ملفوفًا بها وتركها عند قيامته. الجنود والنقود التي أُعطيت لهم (متى ٢٨: ١٥)، والمكان نفسه الذي يُرى إلى الآن، وهذه الكنيسة المقدسة التي بناها الإمبراطور قسطنطين على القبر المقدس، وزُيِّنت على هذا الشكل.

٢٣– شهود أورشليم:

تشهد بقيامة يسوع طابيتا التي قامت من بين الأموات باسمه (أعمال٩: ٤٠). كيف لا يمكن الإيمان بالمسيح الناهض إن كان اسمه أقام الأموات ؟ يشهد البحر بقيامة يسوع، كما سبق وسمعت ذلك، وصيد السمك، والحمر والسمك الذي كان موضوعًا عليه (يو٢١: ٦-٩). يشهد بطرس الذي أنكره ثلاث مرّات، ثمّ اعترف به ثلاث مرّات، وعُهِدَ إليه بأن يرعى النعاج الروحية (يو٢١: ١٥-١٧). يقف جبل الزيتون الى اليوم، كأنما هو يريد أن يُظهر لأعين المؤمنين حتى اليوم هذا الذي صعد على السحابة، وباب الصعود السماوي. لأنه نزل من السماء في بيت لحم، وصعد الى السماء من جبل الزيتون. هنا بدأ جهاده في سبيل البشر، وهنا أيضًا نال إكليل الجهاد. فلديك إذًا شهود كثيرون: مكان القيامة ومكان الصعود في الشرق والملائكة الذين شهدوا، والسحابة التي صعد عليها، والتلاميذ الذين نزلوا من هناك.

٢٤– الصعود يشهد بالقيامة:

يحثّنا نظام تعليم الإيمان على الكلام عما يخص الصعود. ولكن نعمة الله دبّرت أن تسمع عنه مُطوّلًا، بقدر استطاعتنا، في يوم أمس الأحد، وبحسب ما حدّدت النعمة الإلهية. في القداس، نظام القراءات يشمل أيضًا ما يمسّ بصعود مخلّصنا الى السماء. وما قلناه كان للجميع ولجمهور المؤمنين، ولكَ أنت بوجهٍ خاص. فيجب أن نعرف اذا كنت قد انتبهت الى ما قيل. فأنت تعلم أن قانون الإيمان يعلّمك بأنه يجب أن تؤمن بأنه «قام في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين الآب». وعليه أظن أنك تذكر التفسيرات، فيكفي أن ألمّح إليها لتتذكرها. أُذكر جيدًا ما كُتب بوضوح في المزامير: «صعد الله بهتاف الفرح» (مز٤٦: ٦). أُذكر المزمور الذي يقول: «صعد إلى العلى وسبي سبيًا» (مز٦٧: ١٩). أُذكر النبي الذي يقول: «وهو الذي يشيد إلى السماء علاليه» (عاموس ٩: ٦)، وكل ما قيل بالأمس، لتدحض اعتراضات اليهود.

٢٥– مقارنة بين صعود المسيح وعلاماته في العهد القديم:

واذا اعترض أحدٌ عليك بقوله: انّ صعود المخلّص مستحيل، فاذكر عندئذ ما قيل في صدد نقل حبقوق. لأنه اذا كان ملاك نقل حبقوق، قابضًا على شعر رأسه، فكم بالحريّ ربّ الأنبياء والملائكة، الذي هو أقوى، يستطيع بقوّته الذاتية أن يصعد من جبل الزيتون الى السماء على سحابة. واذكر المعجزات الأخرى المماثلة، واحفظ للرب، صانع هذه المعجزات، سُمُوَّهُ. لأن هؤلاء رُعوا، أما هو فارتفع فوق كلّ شيء (عبر١: ٣). واذكر أن أخنوخ نُقِلَ (تك٥: ٢٥) وأن يسوع صعد. أذكر ما قلنا بالأمس عن إيليا أنه نُقِلَ على مركبة ناريّة (٤ملوك ٤: ١١)، أما «مركبة المسيح فَرَبْوَتَان، ألوف مضاعفة» (مز٦٧: ١٨). نُقِلَ إيليا من شرق الأردن، وصعد المسيح من مشرق وادي قدرون؛ ذاكَ نُقِلَ إلى السماء، ولكن يسوع صعد إلى السماء.

قال إيليا: «يُعطى لتلميذ نصيب مضاعف في الروح القُدس» (٤ ملوك ٢: ٩)، ومنح المسيح تلاميذه مشاركة نعمة الروح القُدس، بحيث ألّا تكون وقفًا عليهم دون سواهم، بل أن يُشركوا معهم المؤمنين، بوضع الأيدي.